مجلة البيان ، السنة العاشرة ، العدد 94 ، جمادى الآخرة 1416هـ نوفمبر 1995م

كلمة صغيرة

هذا هو الحل

في كل دول العالم للإعلام رسالة في التوعية والبناء ، وله كذلك خطوط
حمراء لا يتجاوزها ، يعرفها رجال الإعلام ربما حفاظاً على منجزات وضعية
ابتكرها البشر بضعفهم ونقصهم غير أنه بدعوى الحرية المزعومة قد تتعرض
المسلمات الشرعية وربما (الذات الإلهية) للسخرية ؛ كما حصل على سبيل المثال
مؤخراً في (كاريكاتير) في إحدى الصحف الخليجية .. وهذه الخطيئة في نظرنا
حلقة من سلسلة طويلة تتكشف معالمها يوماً بعد يوم ، وهي تعني أمرين :

1- إما أن تلك الصحف تسيرها » شلل « مشبوهة لارقيب عليها والمسؤول
آخر من يعلم .

2- وإما أنهم جميعاً مستهترون بقيم الأمة ومسلماتها ، ومن أمن العقوبة أساء
الأدب .

إن موقفاً خطيراً كهذا لايكفي فيه نقد في زاوية من صحيفة أو مجلة ، أو حتى
الفصل للمجترئ ، وجعله كبش فداء ، بل لابد من عقاب صارم لكل من خطه وأقره
ليكون في ذلك كل العبرة لمن يعتبر ، وما زلنا نقول : إن العلمانية منهاج يبدأ
بفصل الدين عن الحياة وينتهي بمثل تلك التوجهات التي لاتقيم لكل مقدس قيمة .

لقد قرر علماء الإسلام أن عقوبة من سب الإله أو الرسل هو القتل ، كما بسط
ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في (الصارم المسلول على شاتم الرسول) فحينما يطبق
ذلك الحكم هل يجترئ زنديق أو ملحد بشيء من ذلك .. ؟ !

افتتاحية العدد

ديموقراطية الجزائر .. إلى أين .. ؟

هل ستعود الديموقراطية حقّاً إلى الجزائر بعد عودة الانتخابات الرئاسية
المزمع إقامتها قريباً ... ؟ !
وهل ستخرج الجزائر من المأزق الكبير الذي تمرّ به ... ؟ !
أم إنها فصل جديد من فصول المسرحية ، وانتخابات صورية تهدف إلى
إضفاء ما يسمى بـ » الشرعية الدستورية « ! على النظام العسكري الانقلابي ،
وتقلل من حرج الأنظمة التي لا تخفي تعاطفها ، بل ودعمها ومساندتها
للعسكريين .. ؟ !

لقد وئدت الديموقراطية (المزعومة) خوفاً على الديموقراطية كما يقولون ،
وصودر خيار الشعب ، وسحقت كلمته تحت جنازير الدبابات وأقدام العسكر ،
وامتلأت السجون والمعتقلات حتى ضاقت برجالها ، ودخلت الجزائر في دوامة من
الصراعات والاضطرابات ، ثمرتها آلاف القتلى و الجرحى .. وما زالت البلاد
مهيأة لمزيد من الفوضى والعبث .

والعجيب أنّ وسائل الإعلام الغربية فضلاً عن العربية تنحي باللائمة كلها
على من يسمونهم بـ (الأصوليين والمتطرفين) ، ولاتتحدث إلا عن التفجيرات
وقتل الرعايا الأجانب ، ولا تلقي بالاً للتطرف والإرهاب الرسمي الذي يفتك بكل
وحشية وعنف ولا يرقب في مؤمن إلاّ ولا ذمّة .

وبعد هذا كله : ها هو ذا الشعار يعود ثانية تحت عنوان الديموقراطية
أيضاً ... ! !

ثم تتسابق القنوات الإعلامية ودهاقنة الصحافة العربية المهترئة إلى التطبيل
والتزمير ، فقد عادت المياه إلى مجاريها ، ورجع الحق إلى نصابه بعد أن قتل من
الأصوليين أعداء الديموقراطية من قتل ، وسجن منهم من سجن ، وعادت الجزائر
تبني طريقها إلى الحرية والمشاركة الشعبية ، حتى زعم أحدهم : أنّ عيد
الديموقراطية أشرق من جديد بعد أن استجاب العسكريون لنداء العقل والمنطق .. !

ربما يكون ذلك صحيحاً ، فقد علمتنا الأنظمة العسكرية والأحزاب العلمانية أن
للديموقراطية معنى آخر يتقلب بتغير الأحوال .. بل يجب أن يكون ذلك صحيحاً ..
وإلا فأوصاف التطرف والإرهاب والأصولية ، معدة سلفاً .. !
والشعوب المستغفلة ، المغلوبة على أمرها ، المثقلة بهمومها وجراحاتها ،
مستعدة أومضطرة للتصديق ، بل والتصفيق ، شاءت أم أبت ، فماذا تستطيع أن
تفعل بعد أن صودرت عقولها كما صودرت كلمتها .. ؟ ! وماذا تملك أمام ذلك
الاستبداد العسكري والحصار الاقتصادي والإعلامي .. ؟ !
إنّ سقوط الديموقراطية في الجزائر ليست تجربة محلية فحسب ، بل إنها
أنموذج صارخ لفشل جميع الديموقراطيات الزائفة المهلهلة ، التي تستنبت في أرض
سبخة ، تحت مظلة الاستبداد العسكري ، ورعاية الديكتاتوريات العنترية ، التي
تجيد بكل جدارة واقتدار فن التلفيق والتزوير ، والفارق البارز الذي يميز
ديموقراطية الجزائر أنها سقطت بشكل مفاجئ أذهلهم وأفقدهم اتزانهم وكشف الأقنعة
عن وجوههم الكالحة ، وتبع ذلك ضجيج وصخب هائل .. ! وبهذا السقوط سقطت
مسلمات كثيرة كانت تلقن للشعوب صباحاً ومساءً ... !
لقد علمتنا أحداث الجزائر المتتالية أنّ الغرب يتعامل مع المسلمين خاصة
بطريقة متميزة لا نظير لها ، والعقلية الاستعمارية (الميكيافيلية !) مازالت هي التي
تحكم علاقاته بدول المنطقة الإسلامية ، والغرب يدور مع مصالحه حيث دارت ،
والشعارات الجميلة البراقة (الديموقراطية .. الحرية .. حقوق الإنسان ..) تحظى
بعناية فائقة ما دامت تخدم مصالحهم الاستراتيجية ، أما إذا تعارضت معها : فهي
شعارات جوفاء ، مفرغة من أي معنى نبيل ، والشعوب الإسلامية (البربرية
المتخلفة ! !) لاتستحق كل هذا التكريم . وصدق المولى الحق (تبارك و تعالى) :
﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : 120] .

وما أحداث الجزائر إلا حلقة واحدة ضمن سلسلة طويلة تنتظم فيها معظم
القضايا الإسلامية : (فلسطين .. أفغانستان ... البوسنة والهرسك ... الشيشان ...
كشمير ..) وتبرز فيها بوضوح المنهجية الغربية النفعية ، التي تعتمد على سياسة
التطفيف والكيل بمكيالين .. بل السرقة المكشوفة والخداع الواضح .. ! !

لقد علمتنا أحداث الجزائر أن الهياكل العلمانية النخرة التي صنعها الغرب على
عينة أشدّ خطراً علينا من الكفار الأصليين ؛ لأنها لاتملك أي مقوم من
مقومات البقاء ، ولا تقوى على مواجهة الحقائق .. ولذا : فهي تتكئ بعجز ومهانة على أسيادها ،
وتركع تحت أقدامهم تلتمس القوة والتمكين ، وقد وصفهم الله (تعالى) بقوله : ﴿ وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون : 4] .

ولقدعلمتنا أحداث الجزائر أن النفاق السياسي ليس له حدود ؛ فهناك من يدعي
أن الانتخابات الرئاسية سيكون لها مردود إيجابي على الأوضاع ، وبالتالي :
المساهمة في حل الأزمة ، والسؤال البدهي هو : ما هو الفرق بالنسبة للشعب
الجزائري بين زروال رئيساً معيناً من قبل الزمره الحاكمة أو رئيساً منتخباً من
خلال انتخابات مسرحية تقوم فيها النخبة نفسها بالإنتاج والإخراج بالاشتراك مع
الجامعة العربية ، بل إن الرئيس المعين يخاطب الشعب ويطلب منه ممارسة حقه
في الانتخاب لإحساسه بعدم ثقة الشعب به ، لذا يعد الناس بتحقيق رغباتهم ،
والواقع يشهد أن الحرية الوحيدة التي يتمتع بها الشعب هي في الواقع حرية اختيار
الرئيس الذي تبناه حماة الشعب والدستور ! أما ما عدا ذلك فلا وألف لا .

ولقد علمتنا أحداث الجزائر أن هناك شعاراً جديداً يرفعه النظام المستبد وهو
(نحن أو الدمار) أي : إما بقاء النظام وما يلزم منه : من الحكم بغير ما أنزل الله

ومن ممارسة مختلف المظالم ، أو إدخال البلد في حالة من الاضطراب السياسي
والأمني تدمر فيه البلاد كل مقدراتها ويذل فيه العباد حتى يتمنى الناس العودة إلى ما
كانوا عليه .
لقد علمتنا الأحداث أيضاً أن الشعوب المستغفلة الذليلة لا يمكن أن تستمر على
غفلتها وذلتها ، وأنها حينما تعرف الطريق إلى ربها وتعود عوداً صادقاً إلى دينها ،
فإنها تستعصي على الترويض والتدجين ، ولا ترضى الدنية في دينها .. خاصة إذا
وجدت علماءها الصادقين في مقدمة الصفوف يستحثونها بثباتهم وأفعالهم المخلصة
إلى المضي في هذا الطريق المبارك مهما كثرت التضحيات وعظمت الجراحات ..
والله غالب على أمره .. وصلى الله على محمد وآله وسلم .

دراسات شرعية

الآثار السلوكية لتوحيد العبادة

بقلم : د .عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

المهمة التي خلق الله البشر من أجلها هي عبادته وحده لا شريك له ، قال الله
(تعالى) : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : 56] لكن الله (جل
وعلا) مستغن عن الخلق كلهم ، ولا حاجة له (تبارك وتعالى) لعبادتهم كما جاء في
الحديث القدسي : (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل
واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً) [1] ، وقد قال الله (تبارك وتعالى) : ﴿ لَن
يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ المُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : 37] لكن نفع العبادة حاصل لنا أولاً
وأخيراً ، ولهذا قال العلماء : إن مبنى الشريعة على تحصيل مصالح العباد في الدنيا
والآخرة .
فعبادة الله (جل وعلا) هي المنهج الذي يحفظ لهذا الكون انتظامه وسيره دونما

تخبط في أي ناحية من نواحي الحياة ، وعلى أي مستوى من المستويات ، وإن
اختلال هذه العبادة اختلال لنظام هذا الكون ، وبالتالي دخوله في دهاليز الضلال
والانحطاط والفساد ، على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، قال الله
(تعالى) : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [الرعد : 41] .

فأداء العبادة كما أمر الله بها هو سبيل سعادة هذه البشرية بأكملها .

فالعبادة هي الزمام الذي يكبح جماح النفس البشرية ، أن تلغ في شهواتها ،
وهي السبيل الذي يحجز البشرية عن التمرد على شرع الله (تعالى) .

فالخلل في أداء العبادة مؤذن بالخلل في الكون .

فأعظم مقاصد العبادة حصول التقوى التي هي الحاجز عن وقوع الإنسان في
المعاصي ، وهي كذلك المحرك الفعال لهذه النفس حتى تنطلق من قيود الأرض ،
فترفرف في علياء السماء ، وتنطلق في أفعال الخير بشتى صوره .

فإذا كان مردود العبادة من التقوى والخشوع لله (عز وجل) ضعيفاً أو ميتاً ،
فإن الهدف الذي شرعت من أجله العبادة لم يتحقق وبالتالي : تكون العبادة وكأنها لم
تؤدّ .

ولنتأمل هذه النصوص القرآنية والنبوية :

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : 182]

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. ﴾
[العنكبوت : 45] .

ويقول الرسول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع
طعامه وشرابه) [2] .

فليس المقصود من العبادة مجرد الحركات الظاهرة التي تمارسها الجوارح
دون أن تؤثر في الباطن ، وإنما المقصود مع ذلك : عمل القلب ، من الإخبات

والتذلل والخضوع بين يدي الله (عز وجل) ، وذلك روح العبادة ولبها .

إن الذي يؤدي العبادة أي عبادة كانت ولم يقم في قلبه أثناء ذلك مقام العبودية لله (عز وجل) ، فكأنه ما أدى تلك العبادة وبمعنى آخر فقد أدى صورة العبادة لا حقيقتها .

فشرود القلب في مواطن العبادة هو من أعظم الآفات التي تعرض للإنسان في سيره لله (عز وجل) ، لأن العبادة بقلب شارد غافل لاه ، لاتترك الأثر المطلوب على النفس الإنسانية ، فلا يحصل الإنسان بها على الأجر المطلوب .

ولذلك يقول الرسول : (إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها) [3] .

ومع استمرار الغفلة ، وشرود القلب في مواطن العبادة تصبح العبادة مجرد حركات ظاهرة ، ليس لها أي أثر على قلب صاحبها ، ومن ثم : ليس لها أي أثر على تصرفاته ، فتصبح العبادة عادة .

وهذا ما يفسر لنا مانراه من سلوك بعض الناس المخالف لشرع الله في المعاملة وفي الخُلُق مع أنهم من المصلين ومن رواد المساجد ، بل ربما من قارئي القرآن ومن صائمي هواجر الأيام ، لذلك يلاحظ الفرق الكبير بين من يصلي ثم ينصرف من صلاته كما دخل فيها ، وبين من إذا وقف استشعر أنه واقف بين يدي الله ، فاستحضر نية التقرب إلى الله (عز وجل) عند شروعه في الصلاة ، وقام وفي قلبه مقام العبودية لله (عز وجل) ، وشعر بالانكسار بين يدي العزيز الجبار ، ثم إذا قرأ القرآن أو تلاه أو ذكر الأذكار واطأ قلبه لسانه ، فإذا قال مثلاً : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ، فهو قد سأل الله أن يهديه الصراط المستقيم ، وهكذا حتى ينصرف من صلاته ، انظر إلى حال هذا الرجل وحال من دخل في صلاته وقلبه في مكان آخر ، فالقرآن والأذكار تتردد على لسانه ، دون أن تتجاوزه إلى عقله أو فكره .

وانظر إلى من إذا انصرف من صلاته قال : (استغفر الله) ثلاث مرات ،
وقلبه يطلب العفو والمغفرة من الله على ما حصل من تقصيره في هذه العبادة ،
وانشغال قلبه بغير الله فيها .

ولايقتصر الأمر على الصلاة ، بل إنه عام في جميع العبادات أو أغلبها ،
انظر إلى الصيام .. تلك العبادة العظيمة التي يقول الله (عز وجل) فيها : (كل عمل
ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) [4] .

أن كثيراً من الناس لايشعرون بأثر للصيام على نفوسهم ، مع أن الرسول -
صلى الله عليه وسلم- يقول : (صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن
وحر الصدر) [5] أي : غله وحقده ، فالصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله ، ويورث
الحرية من الرق للمشتبهات ؛ لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء ولا
تملكه [6] ، هل يفعل الصيام بنا هذا ؟ ! ، بل إن الله (عز وجل) قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ لأجل ﴿ لعلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
[البقرة : 183] فإذا لم يحدث الصيام للإنسان تلك التقوى ، فإنه لم
يحقق الغرض الذي شرعه الله من أجله ، ولكن .. ما السبب في عدم
إحداثه للتقوى في النفوس ؟

الأسباب كثيرة ، أعظمها : أن الصيام وهو عبادة من العبادات أصبح عند
كثير من الناس مجرد عادة ، يدخل الإنسان فيه دون أن يستحضر نية التقرب لله
(عز وجل) بهذه العبادة ، وفي أثناء الصوم ترى قلبه غافلاً لاهياً عن التذكر والتفكر
في هذه العبادة العظيمة .

وفي المقابل : انظر إلى ذلك الرجل الذي قام من أجل السحور ، تذكر أنه
يأكل هذه الأكلة من أجل أن يتقوى على الصيام الذي يتقرب به إلى الله (عز وجل)
، وفي أثناء صومه وكلما تذكر الطعام أو الشراب أو غيرهما من المحظورات ،
حدث نفسه وعالج قلبه بأنه إنما يفعل ذلك حبّاً وتقرباً إلى الله ، حتى يأتي يوم
القيامة وقد وضع في ميزان أعماله صيام ذلك اليوم ، ثم إذا أفطر فرح بهذا الإفطار

وانتظر فرحه الآخر بهذا الصوم حين يلقى ربه (جل وعلا) ، فقلبه أثناء الصوم أو
في أغلبه منشغل بالتعبد لله (عز وجل) ، فهذا هو الصيام الذي رتب الله عليه ذلك
الأجر العظيم ، وهذا هو الصيام الذي يعالج النفس والقلب من أمراضها وأدرانها .

ولنضرب مثالاً أخيراً ، لنتفكر في عبادة الذكر ، ذكر الله (عز وجل) ، ثم
لننظر إلى عظيم الجزاء والأجر الذي أعده الله للذاكرين الله كثيراً والذاكرات ،
ويكفي في التمثيل بهذا الأجر حديث أبي الدرداء عند الحاكم : (ألا أنبئكم بخير
أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب
والوَرِق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ...) .

هذه هي قيمة الذكر الصادق والجزاء الكبير من الله (تعالى) للذاكرين ، وليس
الذكر هو الدعاوى الفارغة التي يؤديها المتصوفة من المكاء والتصدية والرقص
ويزعمون أنها ذكر .

إذن : لابد أن الأمر ليس بهذه السهولة أو البساطة ، لابد من أن تُحقّقَ معاني
العبودية لله (عز وجل) في عبادة الذكر ربما أكثر منه في تلك العبادات الأخرى ،
ولايمكن أن يكون الذكر مجرد حركات سهلة باللسان ليس لها أي أثر على القلب
ومن ثم على كيان صاحبها وواقعه .

إن الذي يقول (لا إله إلا الله) يرددها لسانه وقلبه مستحضراً للمعنى المراد من
هذه الكلمة وهو الاقرار بالعبودية الخالصة لله وحده ، الذي يقولها بهذه الصورة
يحدث في قلبه وكيانه انخلاع من عبودية ما سوى الله ، ثم تنجذب روحه إلى السماء
، إلى الله (تبارك وتعالى) محبة واتباعاً .

هل يتصور أن من يحدث له ذلك يطيع ما سوى الله في صغيرة أو كبيرة ، أم
يتبع هواه أو شهوته ، أم يقع في قلبه خوف أو وجل من تلك الآلهة المزعومة ، أو
أي حب لها ، وهل يتصور أن من تتوق روحه إلى الله ، فيملأ حب الله شغاف قلبه

ويتغلغل في جوانحه ، هل له أن يعصيه ، أو يتوانى في طاعته والتقرب إليه
والتذلل بين يديه ، لايتُصور ذلك قطعا ، فلأجل هذا كانت هذه الكلمة نجاة لصاحبها
، إذا لم تصدر منه باللسان فقط بل صَاحَبَها حضور القلب وانقياد النفس ، وذلك
لايكون إلا بمعرفة معناها ، ومن ثم تأتي شروطها الباقية ، ومن هنا أيضا : كان من
حقق كلمة التوحيد تحقيقاً كاملاً ، يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، لأن من
حققها بتلك الصورة ، فإنه ولاريب يطيع ربه (جل وعلا) طاعة لا يمكن معها أن
تتجاوز سيئاته حسناته ، فمن ثم يدخل الجنة بتلك الصورة المذكورة في الحديث .

وتأمل قول الله (عز وجل) : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ مَنْ أولئك ؟ ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ ﴾ فلهذا كان من صفاتهم ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فتكون
النتيجة أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء وهو من أعلى وأجل صور العبادة ، وقد ملأ
خوف الله قلوبهم فشعروا بحاجتهم إلى مغفرة خالقهم وعفوه ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : 190-191] .

فالذكر يكون بالقلب قبل أن يكون مجرد نطق باللسان ، وذكر القلب هذا يحدث
في القلب والنفس والعقل من أسرار العبودية وأحوالها ما يجعل القلب مراقباً لله (عز
وجل) طيلة ذكره لله ، وتلك أعلى مراتب العبودية ، إنها مرتبة الإحسان ، أي : أن
تعبد الله كأنك تراه ، والمحسن : المراقب لله في كل حين ووقت ، في كل خاطرة
وسانحة يبحث عن مرضاة الله في كل فعلة وقولة ، بل في كل إرادة أو التفاتة
تحدث من قلبه .

وبعد : فخلاصة ما تقدم بعبارة سريعة مختصرة : أن حقيقة الإيمان التي أُمرنا
بها أن تتواطأ عبادة القلب مع عبادة الجوارح ، فتتحقق عبودية القلب مع عبودية
الجوارح ، فنحسن العبادة باطناً كما نحسنها ظاهراً .

إذا تبينت أهمية ما تقدم ، فلسائل أن يسأل ما هي الوسائل التي تقود إلى
إحسان العبادة باطناً ، أو بعبارة أخرى : كيف نبعث الروح في عبادتنا ، ونجنبها
الموت ؟

الوسائل كثيرة ومتنوعة ، ولكن حسبي أن أشير إلى بعضها :

1- حضور القلب قبل أو عند البدء بالعبادة : والفقهاء يتحدثون عن النية قبل
الشروع في العمل ويعنون بها النية التي تميز العمل نفسه ، كصلاة الظهر عن
صلاة العصر ، وصوم النافلة عن صوم الفرض .. وما إلى ذلك ، ويتحدث أرباب
التوحيد وأهل السلوك عن النية التي تميز المعمول له ، وهو المقصود بهذه العبادة .

2- تحديث القلب وتذكيره بالتعبد لله (عز وجل) : سواء أكان ذلك خارج
العبادة أو حتى في أثنائها إن أمكن ، وليس هذا مجال الحديث عن عبودية القلب لله
رب العالمين ، وكثير من الناس بل ومن بعض طلاب العلم وغيرهم من أهل الخير
يغفلون عن هذا كثيراً ، وهذا التحديث والتذكير نهر يمد القلب باللين والرقة
والخشوع ، فإذا شح ماؤه جف القلب ويبس ثم قسا ، نعوذ بالله من ذلك .

3- التهيؤ للعبادة والاستعداد لها : والمثال الذي يوضح هذا وأثره : التبكير
إلى المساجد لأداء الصلاة ، وهذا التهيؤ المادي الجسدي يصاحبه ولا شك تهيؤ
نفسي وروحي وقلبي ، وفي حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على التبكير
إلى المساجد خير دليل على ذلك ، والأحاديث كثيرة مشهورة .

ومن هنا نفهم كثرة ما ورد عن السلف الصالح في هذا الشأن ، فهذا إبراهيم
بن يزيد الفقيه عابد الكوفة يقول : (إذا رأيت الرجل يتهاون في على التكبير الأولى
فاغسل يدك منه) [7] .

والتهيؤ يكون بحسب كل عبادة وما شرع فيها .

والحج كذلك له تهيؤ ؛ فرد الأمانات والمظالم ، والتخلص من الحقوق قبل
الشروع في السفر كلها صور للاستعداد لهذه العبادة العظيمة ، وكذلك تهيئة الزاد

والراحلة والرفقة الصالحة .
والمتأمل في ذلك يجد الفرق شاسعاً بين من يؤدي العبادة دون استعداد بدني
يصحبه تهيؤ قلبي ومن يأتي الصلاة مسرعاً حتى يدرك الركعة فيدخل في الصلاة
ولم يسكن جسده من ذلك السعي ، ولعل في نهي الرسول -صلى الله عليه وسلم-
عن السعي بعد الإقامة إشارة إلى ذلك ، وإلى أن يتفاعل الإنسان روحيّاً ونفسيّاً مع
هذه العبادة تكون الصلاة أوشكت على النهاية .
4- الابتعاد عما يشوش القلب أثناء العبادة : ففي الصلاة مثلاً : نهى الرسول
-صلى الله عليه وسلم- المصلي أن يصلي إلى مايشغله أثناء الصلاة (فإنه لا ينبغي
أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي) (8) .
ولهذا جاء النهي عن أن يصلي الإنسان في حضرة طعام أو وهو يدافع
الأخبثين ، كل هذا من أجل أن ينخلع القلب من علائق الدنيا وينجذب إلى حقيقة
العبادة ويجتمع في قلب العبد وفكره ووجدانه الاتجاه إلى الله (تعالى) ، ومثل هذه
الأمور يمكن فعلها في عبادات أخرى . ليكون أدعى لانشغاله وتفرغه للعبادة ، مما
يؤدي لتفرغ قلب الإنسان للتوجه وللعبودية لله (عز وجل) أثناء الصوم .
5- المشاهد أن كثيراً من الناس يؤدي بعض العبادات بصورة تلقائية أقرب
إلى الحركة الميكانيكية ، فمثلا في الصلاة : ترى كثيراً منهم يدخل في صلاة النافلة
فيقرأ دعاء الاستفتاح الذي يجري على لسانه ، ومن ثم سورة الفاتحة ، ثم تجري
على لسانه إحدى السور الصغار التي يحفظها على ظهر القلب ، وربما إذا سألته بعد
صلاته ماذا قرأ ، فإنه لا يذكر .
ولا تفكر الأغلبية العظمى من الناس مثلا في قراءة صيغة أخرى لدعاء
الاستفتاح ، أو في قراءة آيات أو سور من غير تلك السور التي تجري على ألسنتهم
دون أن يتفكروا فيها أو يشعروا بها ، مع أن السنة وردت بالتنويع في هذه الأذكار ،
فهناك عدة صيغ لدعاء الاستفتاح ، والرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ من

القرآن كله في تطوعه .
وهكذا في أذكار الصباح والمساء وغيرها من الأذكار والعبادات الدورية التي
وردت السنة بهيئات وصيغ متعددة لها .
إن التنويع في صفات العبادة بما يوافق السنة الصحيحة له أثر في طرد ما قد
يطرأ على العبادة من صفة العادة والرتابة التي تضعف تأثير العبادة على القلب .
هذا والوسائل كثيرة ومتنوعة ، لكن حسب الإنسان أن يضع هذه القضية
نصب عينيه هدفاً منشوداً ، وأن يحاسب نفسه فيما يتعلق بها ، فكلما عمد إلى عبادة
من العبادات عليه أن ينأى بعبادته أن تكون ميتة .
أسأل الله العظيم رب العرش الكريم ، أن يوفقنا للإخلاص في القول والعمل ،
ويرزقنا اتباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، إنه سميع مجيب .

---

(1) أخرجه البخاري .
(2) البخاري ، كتاب الصوم .
(3) انظر صحيح الجامع ، ح1622 .
(4) أخرجه البخاري .
(5) أخرجه البزار وأحمد بن حنبل ، ج5ص363 ، وابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : ج1ص429 البيان .
(6) انظر : فيض القدير ج4ص211 .
(7) انظر : سير أعلام النبلاء 8 انظر : صحيح الجامع ، ح2500 .

العبادة بين الصورة والحقيقة

بقلم : هيثم الحداد

المهمة التي خلق الله البشر من أجلها هي عبادته وحده لاشريك له ، قال الله (تعالى) : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : 56] لكن الله (جل وعلا) مستغن عن الخلق كلهم ، ولاحاجة له (تبارك وتعالى) لعبادتهم كما جاء في الحديث القدسي : » لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً « [1] ، وقد قال الله (تبارك وتعالى) : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ المُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : 37] لكن نفع العبادة حاصل لنا أولاً وأخيراً ، ولهذا قال العلماء : إن مبنى الشريعة على تحصيل مصالح العباد في الدنيا والآخرة .

فعبادة الله (جل وعلا) هي المنهج الذي يحفظ لهذا الكون انتظامه وسيره دونما تخبط في أي ناحية من نواحي الحياة ، وعلى أي مستوى من المستويات ، وإن اختلال هذه العبادة اختلال لنظام هذا الكون ، وبالتالي دخوله في دهاليز الضلال والانحطاط والفساد ، على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، قال الله (تعالى) : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [الرعد : 41] .

فأداء العبادة كما أمر الله بها هو سبيل سعادة هذه البشرية بأكملها .

فالعبادة هي الزمام الذي يكبح جماح النفس البشرية ، أن تلغ في شهواتها ، وهي السبيل الذي يحجز البشرية عن التمرد على شرع الله (تعالى) ، فالخلل في أداء العبادة مؤذن بالخلل في الكون .

فأعظم مقاصد العبادة حصول التقوى التي هي الحاجز عن وقوع الإنسان في

المعاصي ، وهي كذلك المحرك الفعال لهذه النفس حتى تنطلق من قيود الأرض ،
فترفرف في علياء السماء ، وتنطلق في أفعال الخير بشتى صوره .
فإذا كان مردود العبادة من التقوى والخشوع لله (عز وجل) ضعيفاً أو ميتاً ،
فإن الهدف الذي شرعت من أجله العبادة لم يتحقق وبالتالي : تكون العبادة وكأنها لم تؤدّ .
ولنتأمل هذه النصوص القرآنية والنبوية :
﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : 182]
﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. ﴾ [العنكبوت : 45] .
ويقول الرسول-صلى الله عليه وسلم- : » من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه « [2] .
فليس المقصود من العبادة مجرد الحركات الظاهرة التي تمارسها الجوارح
دون أن تؤثر في الباطن ، وإنما المقصود مع ذلك : عمل القلب ، من الإخبات
والتذلل والخضوع بين يدي الله (عز وجل) ، وذلك روح العبادة ولبها .
إن الذي يؤدي العبادة أي عبادة كانت ولم يقم في قلبه أثناء ذلك مقام العبودية
لله (عز وجل) ، فكأنه ما أدى تلك العبادة وبمعنى آخر فقد أدى صورة العبادة لا حقيقتها .
فشرود القلب في مواطن العبادة هو من أعظم الآفات التي تعرض للإنسان في
سيره لله (عز وجل) ، لأن العبادة بقلب شارد غافل لاه ، لاتترك الأثر المطلوب
على النفس الإنسانية ، فلا يحصل الإنسان بها على الأجر المطلوب .
ولذلك يقول الرسول : » إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ،
تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها « [3] .
ومع استمرار الغفلة ، وشرود القلب في مواطن العبادة تصبح العبادة مجرد

حركات ظاهرة ، ليس لها أي أثر على قلب صاحبها ، ومن ثم : ليس لها أي أثر
على تصرفاته ، فتصبح العبادة عادة .
وهذا ما يفسر لنا مانراه من سلوك بعض الناس المخالف لشرع الله في
المعاملة وفي الخُلُق مع أنهم من المصلين ومن رواد المساجد ، بل ربما من قارئي
القرآن ومن صائمي هواجر الأيام ، لذلك يلاحظ الفرق الكبير بين من يصلي ثم
ينصرف من صلاته كما دخل فيها ، وبين من إذا وقف استشعر أنه واقف بين يدي
الله ، فاستحضر نية التقرب إلى الله (عز وجل) عند شروعه في الصلاة ، وقام وفي
قلبه مقام العبودية لله (عز وجل) ، وشعر بالانكسار بين يدي العزيز الجبار ، ثم إذا
قرأ القرآن أو تلاه أو ذكر الأذكار واطأ قلبه لسانه ، فإذا قال مثلاً : ﴿ اهدنا الصراط
المستقيم ﴾ ، فهو قد سأل الله أن يهديه الصراط المستقيم ، وهكذا حتى ينصرف من
صلاته ، انظر إلى حال هذا الرجل وحال من دخل في صلاته وقلبه في مكان
آخر ، فالقرآن والأذكار تتردد على لسانه ، دون أن تتجاوزه إلى عقله أو فكره .
وانظر إلى من إذا انصرف من صلاته قال : » استغفر الله « ثلاث مرات ،
وقلبه يطلب العفو والمغفرة من الله على ما حصل من تقصيره في هذه العبادة ،
وانشغال قلبه بغير الله فيها .
ولايقتصر الأمر على الصلاة ، بل إنه عام في جميع العبادات أو أغلبها ،
انظر إلى الصيام .. تلك العبادة العظيمة التي يقول الله (عز وجل) فيها : » كل
عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به « [4] .
إن كثيراً من الناس لايشعرون بأثر للصيام على نفوسهم ، مع أن الرسول -
صلى الله عليه وسلم- يقول : » صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن
وحر الصدر « [5] أي : غله وحقده ، فالصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله ،
ويورث الحرية من الرق للمشتبهات ؛ لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء ولا
تملكه [6] ، هل يفعل الصيام بنا هذا ؟ ! ، بل إن الله (عز وجل) قال : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لأجل
لعلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 183] فإذا لم يحدث الصيام للإنسان تلك التقوى ، فإنه لم يحقق الغرض
الذي شرعه الله من أجله ، ولكن .. ما السبب في عدم إحداثه للتقوى في النفوس ؟
الأسباب كثيرة ، أعظمها : أن الصيام وهو عبادة من العبادات أصبح عند
كثير من الناس مجرد عادة ، يدخل الإنسان فيه دون أن يستحضر نية التقرب لله
(عز وجل) بهذه العبادة ، وفي أثناء الصوم ترى قلبه غافلاً لاهياً عن التذكر والتفكر
في هذه العبادة العظيمة .
وفي المقابل : انظر إلى ذلك الرجل الذي قام من أجل السحور ، تذكر أنه
يأكل هذه الأكلة من أجل أن يتقوى على الصيام الذي يتقرب به إلى الله
(عز وجل) ، وفي أثناء صومه وكلما تذكر الطعام أو الشراب أو غيرهما من المحظورات ،
حدث نفسه وعالج قلبه بأنه إنما يفعل ذلك حبّا وتقرباً إلى الله ، حتى يأتي يوم
القيامة وقد وضع في ميزان أعماله صيام ذلك اليوم ، ثم إذا أفطر فرح بهذا الإفطار
وانتظر فرحه الآخر بهذا الصوم حين يلقى ربه (جل وعلا) ، فقلبه أثناء الصوم أو
في أغلبه منشغل بالتعبد لله (عز وجل) ، فهذا هو الصيام الذي رتب الله عليه ذلك
الأجر العظيم ، وهذا هو الصيام الذي يعالج النفس والقلب من أمراضها وأدرانها .
ولنضرب مثالاً أخيراً ، لنتفكر في عبادة الذكر ، ذكر الله (عز وجل) ، ثم
لننظر إلى عظيم الجزاء والأجر الذي أعده الله للذاكرين الله كثيراً والذاكرات ،
ويكفي في التمثيل بهذا الأجر حديث أبي الدرداء عند الحاكم : » ألا أنبئكم بخير
أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب
والوَرِق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ... « .
هذه هي قيمة الذكر الصادق والجزاء الكبير من الله (تعالى) للذاكرين ، وليس
الذكر هو الدعاوى الفارغة التي يؤديها المتصوفة من المكاء والتصدية والرقص
ويزعمون أنها ذكر .

إذن : لابد أن الأمر ليس بهذه السهولة أو البساطة ، لابد من أن تُحقّقَ معاني
العبودية لله (عز وجل) في عبادة الذكر ربما أكثر منه في تلك العبادات الأخرى ،
ولايمكن أن يكون الذكر مجرد حركات سهلة باللسان ليس لها أي أثر على القلب
ومن ثم على كيان صاحبها وواقعه .
إن الذي يقول » لا إله إلا الله « يرددها لسانه وقلبه مستحضراً للمعنى المراد
من هذه الكلمة وهو الاقرار بالعبودية الخالصة لله وحده ، الذي يقولها بهذه الصورة
يحدث في قلبه وكيانه انخلاع من عبودية ما سوي الله ، ثم تنجذب روحه إلى السماء ، إلى الله (تبارك وتعالى) محبة واتباعاً .
هل يتصور أن من يحدث له ذلك يطيع ما سوى الله في صغيرة أو كبيرة ، أم
يتبع هواه أو شهوته ، أم يقع في قلبه خوف أو وجل من تلك الآلهة المزعومة ، أو
أي حب لها ، وهل يتصور أن من تتوق روحه إلى الله ، فيملأ حب الله شغاف قلبه
ويتغلغل في جوانحه ، هل له أن يعصيه ، أو يتوانى في طاعته والتقرب إليه
والتذلل بين يديه ، لايُتصور ذلك قطعا ، فلأجل هذا كانت هذه الكلمة نجاة
لصاحبها ، إذا لم تصدر منه باللسان فقط بل صَاحَبَها حضور القلب وانقياد النفس ، وذلك
لايكون إلا بمعرفة معناها ، ومن ثم تأتي شروطها الباقية ، ومن هنا أيضا : كان من
حقق كلمة التوحيد تحقيقاً كاملاً ، يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، لأن من
حققها بتلك الصورة ، فإنه ولاريب يطيع ربه (جل وعلا) طاعة لا يمكن معها أن
تتجاوز سيئاته حسناته ، فمن ثم يدخل الجنة بتلك الصورة المذكورة في الحديث .
وتأمل قول الله (عز وجل) : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ مَنْ أولئك ؟ ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ ﴾ فلهذا كان من صفاتهم ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فتكون
النتيجة أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء وهو من أعلى وأجل صور العبادة ، وقد ملأ
خوف الله قلوبهم فشعروا بحاجتهم إلى مغفرة خالقهم وعفوه ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَا مَا

خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران : 190 ، 191] .
فالذكر يكون بالقلب قبل أن يكون مجرد نطق باللسان ، وذكر القلب هذا يحدث
في القلب والنفس والعقل من أسرار العبودية وأحوالها ما يجعل القلب مراقباً لله (عز
وجل) طيلة ذكره لله ، وتلك أعلى مراتب العبودية ، إنها مرتبة الإحسان ، أي : أن
تعبد الله كأنك تراه ، والمحسن : المراقب لله في كل حين ووقت ، في كل خاطرة
وسانحة يبحث عن مرضاة الله في كل فعلة وقولة ، بل في كل إرادة أو التفاتة
تحدث من قلبه .
وبعد : فخلاصة ما تقدم بعبارة سريعة مختصرة : أن حقيقة الإيمان التي أُمرنا
بها أن تتواطأ عبادة القلب مع عبادة الجوارح ، فتتحقق عبودية القلب مع عبودية
الجوارح ، فنحسن العبادة باطناً كما نحسنها ظاهراً .
إذا تبينت أهمية ما تقدم ، فلسائل أن يسأل ما هي الوسائل التي تقود إلى
إحسان العبادة باطناً ، أو بعبارة أخرى : كيف نبعث الروح في عبادتنا ، ونجنبها
الموت ؟
الوسائل كثيرة ومتنوعة ، ولكن حسبي أن أشير إلى بعضها :
1- حضور القلب قبل أو عند البدء بالعبادة : والفقهاء يتحدثون عن النية قبل
الشروع في العمل ويعنون بها النية التي تميز العمل نفسه ، كصلاة الظهر عن
صلاة العصر ، وصوم النافلة عن صوم الفرض .. وما إلى ذلك ، ويتحدث أرباب
التوحيد وأهل السلوك عن النية التي تميز المعمول له ، وهو المقصود بهذه العبادة .
2- تحديث القلب وتذكيره بالتعبد لله (عز وجل) : سواء أكان ذلك خارج
العبادة أو حتى في أثنائها إن أمكن ، وليس هذا مجال الحديث عن عبودية القلب لله
رب العالمين ، وكثير من الناس بل ومن بعض طلاب العلم وغيرهم من أهل الخير
يغفلون عن هذا كثيراً ، وهذا التحديث والتذكير نهر يمد القلب باللين والرقة
والخشوع ، فإذا شح ماؤه جف القلب ويبس ثم قسا ، نعوذ بالله من ذلك .

3- التهيؤ للعبادة والاستعداد لها : والمثال الذي يوضح هذا وأثره : التبكير
إلى المساجد لأداء الصلاة ، وهذا التهيؤ المادي الجسدي يصاحبه ولا شك تهيؤ
نفسي وروحي وقلبي ، وفي حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على التبكير
إلى المساجد خير دليل على ذلك ، والأحاديث كثيرة مشهورة .

ومن هنا نفهم كثرة ما ورد عن السلف الصالح في هذا الشأن ، فهذا إبراهيم
بن يزيد الفقيه عابد الكوفة يقول : » إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى
فاغسل يدك منه « [7] .

والتهيؤ يكون بحسب كل عبادة وما شرع فيها .

والحج كذلك له تهيؤ ؛ فرد الأمانات والمظالم ، والتخلص من الحقوق قبل
الشروع في السفر كلها صور للاستعداد لهذه العبادة العظيمة ، وكذلك تهيئة الزاد
والراحلة والرفقة الصالحة .

والمتأمل في ذلك يجد الفرق شاسعاً بين من يؤدي العبادة دون استعداد بدني
يصحبه تهيؤ قلبي ومن يأتي الصلاة مسرعاً حتى يدرك الركعة فيدخل في الصلاة
ولم يسكن جسده من ذلك السعي ، ولعل في نهي الرسول -صلى الله عليه وسلم-
عن السعي بعد الإقامة إشارة إلى ذلك ، وإلى أن يتفاعل الإنسان روحيّاً ونفسيّاً مع
هذه العبادة تكون الصلاة أوشكت على النهاية .

4- الابتعاد عما يشوش القلب أثناء العبادة : ففي الصلاة مثلاً : نهى الرسول
-صلى الله عليه وسلم- المصلي أن يصلي إلى ما يشغله أثناء الصلاة » فإنه لا
ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي « [8] .

ولهذا جاء النهي عن أن يصلي الإنسان في حضرة طعام أو وهو يدافع
الأخبثين ، كل هذا من أجل أن ينخلع القلب من علائق الدنيا وينجذب إلى حقيقة
العبادة ويجتمع في قلب العبد وفكره ووجدانه الاتجاه إلى الله (تعالى) ، ومثل هذه
الأمور يمكن فعلها في عبادات أخرى . ليكون أدعى لانشغاله وتفرغه للعبادة ، مما
يؤدي لتفرغ قلب الإنسان للتوجه وللعبودية لله (عز وجل) أثناء الصوم .

5- المشاهد أن كثيراً من الناس يؤدي بعض العبادات بصورة تلقائية أقرب
إلى الحركة الميكانيكية ، فمثلا في الصلاة : ترى كثيراً منهم يدخل في صلاة النافلة
فيقرأ دعاء الاستفتاح الذي يجري على لسانه ، ومن ثم سورة الفاتحة ، ثم تجري
على لسانه إحدى السور الصغار التي يحفظها على ظهر القلب ، وربما إذا سألته بعد
صلاته ماذا قرأ ، فإنه لا يذكر .

ولاتفكر الأغلبية العظمى من الناس مثلا في قراءة صيغة أخرى لدعاء
الاستفتاح ، أو في قراءة آيات أو سور من غير تلك السور التي تجري على ألسنتهم
دون أن يتفكروا فيها أو يشعروا بها ، مع أن السنة وردت بالتنويع في هذه الأذكار ،
فهناك عدة صيغ لدعاء الاستفتاح ، والرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ من
القرآن كله في تطوعه .

وهكذا في أذكار الصباح والمساء وغيرها من الأذكار والعبادات الدورية التي
وردت السنة بهيئات وصيغ متعددة لها .

إن التنويع في صفات العبادة بما يوافق السنة الصحيحة له أثر في طرد ما قد
يطرأ على العبادة من صفة العادة والرتابة التي تضعف تأثير العبادة على القلب .

هذا والوسائل كثيرة ومتنوعة ، لكن حسب الإنسان أن يضع هذه القضية
نصب عينيه هدفاً منشوداً ، وأن يحاسب نفسه فيما يتعلق بها ، فكلما عمد إلى عبادة
من العبادات عليه أن ينأى بعبادته أن تكون ميتة .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم ، أن يوفقنا للإخلاص في القول والعمل ،
ويرزقنا اتباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، إنه سميع مجيب .

---

(1) أخرجه البخاري .
(2) البخاري ، كتاب الصوم .
(3) انظر صحيح الجامع ، ح1622 .
(4) أخرجه البخاري .
(5) أخرجه البزار وأحمد بن حنبل ، ج5ص363 ، وابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : ج1ص429
- البيان - .
(6) انظر : فيض القدير ج4ص211 .
(7) انظر : سير أعلام النبلاء .
(8) انظر : صحيح الجامع ، ح2500 .

في إشراقة آية

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾

بقلم : د . عبد الكريم بكار

يقول الله (جل وعلا) : ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : 269] .

وردت كلمة (حكمة) في مواضع عديدة من الكتاب العزيز ، وذهب المفسرون إلى تفسير معناها في كل موضع بحسب السياق الذي وردت فيه ، فتارة تُفسر بالسنة ، وتارة بالموعظة ، وتارة بالقرآن ...

أما في هذا الموضع الذي نحن بصدده ، فإن للعلماء في تفسيرها أقوالاً كثيرة ، منها : النبوة ، والفقه في القرآن ، والمعرفة بدين الله ، والفقه فيه ، والاتباع له ، والخشية ، والورع [1]...

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال في (الحكمة) : إنها المعرفة بالدين ، والفقه في التأويل ، والفهم الذي هو سجية ، ونور من الله (تعالى) [2].

ولعل هذا القول هو أقرب الأقوال السابقة إلى الصواب . والذي يبدو لي : أن الحكمة تتجاوز المعلومات الجزئية إلى المفاهيم الكلية مع نوع من التطابق بين معارف الحكيم والمواقف العملية له ؛ ومن ثم قيل إن الحكمة تعني : وضع الشيء في موضعه ؛ وإن كنا نرى أن ذلك أحد تجليات الحكمة ، وليس جزءاً منها ، لكنهم لمحوا أن المواقف الصحيحة الملائمة هي التي تكشف عن حكمة الحكماء .

ولعلنا نحاول الحوم حول حمى الحكمة ، وحول بعض تجلياتها وتجسيداتها في المفردات التالية :

1- إن تاريخ الإنسان هو مكافحة (العماء) و (اللاتكوّن) في داخل نفسه وفي خارجها ؛ فهو يحاول أبداً صياغة المفهومات والرؤى التي تمكّنه من فهم مركزه في هذا الكون ، ومعرفة المحيط الذي يعيش فيه بغية فهم الموقف الصحيح والخطوة المناسبة .

ومهما بذل الإنسان من جهود في سبيل الوصول إلى ذلك فإن نجاحه يظل

نسبيّاً ، كما أن تقدير الناس لذلك النجاح سوف يظل متفاوتاً ؛ حيث إن مبادئ
الإنسان ومعارفه تتحكم دائماً في بلورة رؤيته للأشياء ؛ ومن ثم : فإن موقفاً ما قد
يكون في نظر واحد منا حكيماً ، على حين ينظر إليه آخرون على أنه طائش
وخائب ؛ إلا أن الأيام بما تجلّيه من عواقب ونتائج وبما تركمه من نماذج تساعدنا
على نوع من توحيد الرؤية والفهم .

2- إذا كنا نختلف حول تعريف الحكمة فإنه سيظل بالإمكان تحليلها إلى
العناصر المكوّنة لها ، وهي على ما يبدو لي ثلاثة : الذكاء ، والمعرفة ، والإرادة ؛
فالذكاء اللماح ، والمعرفة الواسعة ، والإرادة الصُلبة تكوّن معاً : (الحكمة) ، وعلى
مقدار كمال هذه العناصر يكون كمالها .

الذكاء بمفرده لا يجعل الإنسان حكيماً ؛ إذ الملموس أن الذكاء دون قاعدة جيدة
من العلم والخبرة ينتج فروضاً ومعرفة (شكلية) ، كما أن المعرفة دون ذكاء تجعل
استفادة صاحبها منها محدودة ، وتجعل وظيفته مجرد الحفظ والنقل ، دون التمكن
من غربلة المعرفة أو الإضافة إليها . والأهم من هذا وذاك : أن المعرفة دون ذكاء
تؤخر ولادة الموقف الحكيم ، وتجعل الواحد منا يأتي بعد الحدث بسبب ضعف
البداهة .

ولا يكفي الذكاء اللمّاح ، ولا الخبرة الواسعة في جعل الإنسان حكيماً ما لم
يمتلك قوة الإرادة ؛ لأن الإرادة القوية وحدها هي التي تجعلنا ننصاع لأمر الخبرة ،
وهي التي تنتج سلوكاً يختفي فيه الفارق بين النظرية والتطبيق .

الذكاء موهبة من الله (تبارك وتعالى) ، والمعرفة الواسعة كسب شخصي ،
والإرادة القوية هدية المجتمع الناجح لأبنائه البررة ؛ فهو الذي يحدّد العتبة والسقف
المطلوبين للعيش فيه بكرامة على مستوى الإرادة ، وعلى مستوى القدرة ، وهو لا
يمنح القدرة ، لكنه يمنح أفراده إرادة الفعل والكف من خلال نماذجه الراقية ، ومن
خلال المراتبية الاجتماعية التي يصوغها تأسيساً على الاستجابة لأوامره .

3- إن المعرفة مهما كانت واسعة لا تعدو أن تكون إحدى مكوّنات (الحكمة) ،
ومن ثم : فإن هناك فارقاً بين العالِم والحكيم ، فقد يكون المرء قمة في تخصص من
التخصصات ، لكنه لا يُعدّ حكيماً ، كما أن الحكيم قد لا يكون عالماً متبحراً في أي
علم من العلوم .

العلم يفكك المعرفة من أجل استيعابها ، فيقوم بتنظيمها وتوزيعها على مساقات
كثيرة ، أما الحكيم : فيقوم بتركيب المعرفة النظرية مع الخبرة العملية من أجل بناء
وتشكيل المفهومات العامة في سبيل الوصول إلى رؤية شاملة تندغم فيها معطيات
الماضي والحاضر والمستقبل .

العلم يمكننا من صنع الدواء ، وصنع السلاح ، لكن الحكمة تجعلنا نعرف متى
نداوي ، ومتى نحارب .

العلماء كثر ، والحكماء نادرون ؛ لأن تحليل المعرفة أسهل من تركيبها ،
والعمل الدعوي اليوم ليس فقيراً في الاختصاصيين ، لكنه محتاج حاجة ماسّة إلى
الحكماء العظام الذين يمزجون بين العلوم والثقافات المختلفة ، ويخلصون منها إلى
محكات نهائية في الإصلاح والنهضة ومداواة العلل المستعصية ...

إن الحكمة أُم الوسائل والأساليب ، لكنها أكبر من أن تحصر في أي منهج من
المناهج ، إنها معرفة تتأبى على التنظيم ، فهي دائماً مرفرفة ، على حين أن العلم
معرفة منظّمة ، وكل العلوم يبدأ تفتحها على أنها حكمة ، وتنتهي إلى أن تكون فنّاً ،
أي : إنها تفقد طاقتها على التجدد بعد أن يتم سجنها في قوالب جاهزة ، وتصبح
بحاجة ماسّة إلى أن ترفرف من جديد ، أي : أن تطعّم بالحكمة . ومن ثم : فإن
الحكمة تتأبى على الاستنفاذ ، ولذا : فإنها الخير الكثير الفياض المتجدد الذي يهيئه
الله (تعالى) لمن شاء من عباده .

4- جفل الوعي الإسلامي قديماً من (الفلسفة) ؛ لأن أكثر فلاسفة المسلمين
أخرجوا الفلسفة من إطار الوحي وإطار النصوص والمعطيات الشرعية العامة ،

فصارت المفاهيم الفلسفية غريبة عن البنية الثقافية الإسلامية ، بل مصادمة لها .
وفي العصر الحديث : لم تنشأ لدينا مدارس فلسفية ، وإنما اتباع لفلاسفة الغرب ،
ومروّجون لفلسفة مادية أجنبية محورها الأساس : هدم عقيدة الألوهية وتدعيم
الإلحاد ... فاستمر الجفاء بين الاختصاصيين (العلماء) وبين ذوي النظر الكلي والرؤية العامة .
إن الناظر في الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة (الحكمة) : يجد أنها ما
اقترنت بذكر (الكتاب) إلا كانت تالية له ، وكأن في ذلك إشارة إلى أن الحكمة بما
هي مفاهيم ونظر كلي لا يصح أبداً أن تتشكل خارج مبادئ الكتاب ومعطياته
الكبرى ؛ إنه القيّم والمهيمن عليها ، وليس في ذلك حد من عطاء الحكمة
وانطلاقها ، ولكنه إمساك بها كي لا تفقد اتجاهها ومحورها ؛ فالعقل البشري على سعة إمكاناته
لا يستطيع أن يعمل بكفاءة إلا من خلال إطار توجيهي يمنحه شيئاً من الثوابت
وصلابة اليقين .
وقد آن الأوان لتنشيط حركة علمية لا تغرق في التخصصات لكنها تستفيد
منها جميعاً : في تنسيق الواقع في ضوء المثال ، وفي إدراك العلاقات الخطية
والجدلية التي تربط بين الأشياء ، وفي معرفة سنن الله (تعالى) في الخلق ...
آن الأوان لترك التقدم العلمي لأهل التخصصات يغوصون على مفردات
العلوم ، ويضيفون إلى فروع المعرفة كل يوم جديداً ، والسعي إلى تكوين جيل جديد
من الحكماء والمصلحين ذوي النظر الكلي والثقافة المَزْجية ، الذين يستخدمون
المعارف المختلفة في
بناء النماذج الحضارية الخاصة والمشروعات النهضية الشاملة .
وفي اعتقادي أن الحاجة إلى (الحكماء) سوف تزداد ؛ إذ إن المعرفة البشرية
على وشك إكمال دورتها ، وعصر ثورة المعلومات الذي بزغ فجره سوف يكون
أقصر العصور الحضارية ، ثم يأتي زمان الأسئلة الكبرى : أسئلة الهوية ، وعلل

الوجود ، والمصير ، وطبيعة الكينونة البشرية وحدودها ، وحقوقها .. أي : إن
الفلسفة قد تستعيد مجدها القديم ، لكن ضمن معطيات ومساقات جديدة ، وبلغة شديدة
التعقيد ، وعلينا منذ الآن أن نحضّر أولئك ، الذين يستطيعون فهم أسئلة العصر
القادم ، ويحسنون الجواب عليها .

5- الإرادة الصُلبة مكوّن أساس من مكونات (الحكمة) كما ذكرنا وهي
(الإكسير) الذي يحيل المعرفة النظرية إلى نماذج متحققة في الواقع المحسوس ، إن
الحكمة نور داخلي يشكل مفهومات كثيرة متباينة ، ويدمجها في نظم أشمل ، فتبدو
منسجمة متناسقة ، لكن الحكيم لا يبدو كذلك ، فهو طراز فريد ، ونموذج خاص ،
يصعب تقنين عطاءاته وتوجهاته ومواقفه ؛ لأن طبيعة الحكمة تتأبى على التحقق
الكامل ، ومن ثم : فإنها تلوح في بعض المواقف والسلوكات لتدل على فضل الله
(تعالى) على أصحابها وتوفيقه لهم . وتلك المواقف تفوق الحصر والعد ، لكن نذكر
بعضها من أجل التقريب :

أ- الحكمة نمو دائم ، فالمزج الفاعل بين الذكاء والخبرة والإرادة يجعل
مفهومات الحكيم في نوع من الحركة الدائبة ، مفهوم يكبر ، وآخر يضمر ، ونقط
تزداد تفصيلاً ، وأخرى تزداد تركيزاً ، أفكار جديدة لديه تفقد بريقها بسرعة ،
وأفكار قديمة تنبعث حية لتخط خطّاً جديداً ...

هذه الوضعية تجعل الحكيم في حالة من التألق الدائم ، وهذا التألق قد يفسّر
لدى الكثيرين على أنه تناقض واضطراب ، على حين أنه نوع من الاستجابة
الناجحة للمرونة الذهنية العالية ، والروافد الثقافية الثرية ، والإرادة الحرة الصُلبة ،
لكن كل ذلك يأخذ سمة التغيّر لا التبدّل .

ب- إيثار الآجل على العاجل ، والدائم على الآني ، وما يمليه ذلك من مواقف
والتزامات : أكبر سمة من سمات (الحكيم) ، والشرائع السماوية كلها جاءت توجّه
الناس نحو هذه الفضيلة ، لكن إغراءات المنافع والملذات العاجلة صرفت جلّ الناس

عن الاستجابة ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴾ [القيامة : 20 ، 21] .
وعدم تحقق هذه الفضيلة في حياة كثير من الناس ، سببه : ضعف في الخبرة ، أو
ضعف في الإرادة ، أو فيهما معاً ، والحكمة تجعل الحكيم في منأى عنهما .
ومِوقف الحكيم هنا يثير لدى الناس الدهشة ؛ حيث يجدونه زاهداً معرضاً عما
يتقاتلون عليه ، وربما اتهموه بالعجز أو الكسل أو القصور ، وهو في الوقت نفسه
يضحك في داخله من جهادهم في غير عدو ومحاولات قبضهم على السراب ! ! .
ج- داخل الحكيم ساحة مَوّارة بالحركة والنشاط ، فهو لا يكفّ أبداً عن
عمليات المقارنة ، والموازنة ، والتحليل ، والتركيب ، والاستنتاج ، والتشذيب ،
والإضافة ، إنها أمواج وتيارات في أعماق المحيط ، أما السطح فإنه هادئ تعلوه
السكينة والوقار .
إن من ملامح الأذكياء سرعة البديهة ، وإطلاق الأحكام ، وسرعة تشكيل
المواقف ، لكن الحكيم طراز آخر من الناس ، فهو بطيء في تكوين معتقداته ،
وصياغة مقولاته ، إذ إنه يملك قدرة خاصة على ضرب كل أشكال المعرفة والخبرة
في بعضها بعضاً ، ليخرج في النهاية بزبدة تتميز عنها جميعاً ، لكنها منها جميعاً !
ويفسّر بعض الناس ذلك بالعي والحَصَر ، لكن الأيام تثبت أن مقولات الحكماء هي
بنات عواصف فكرية وشعورية هائلة ، لكنها غير منظورة ! .
د - من أهم تجليات الحكمة : إدراك حجوم القضايا على وجهها الصحيح ؛
فالحكيم يرى الأشياء الكبيرة كبيرة ، كما يرى القضايا الصغيرة صغيرة كما هي ،
وتقدير القضايا بصورة صحيحة من أخطر المشكلات التي ظلت تواجه البشر على
مدار التاريخ ، وهل دُمّرت الحضارات إلا من وراء مشكلات وأخطاء ظنها الناس
تافهة ، فإذا هي عواصف هوجاء تأتي على كل ما تمرّ عليه ! .
الحكيم : رجل يرى ما قبل اللحظة الراهنة ، ويستشرف ما بعدها ، وهو لا

يرى نسقاً أو نظاماً من التداعيات الترابطية ، لكنه يرى أنساقاً ونظماً تتوازى ،
وتتقاطع ، وتتصادم ، إنه يحسّ بالعاصفة قبل هبوبها ، فيحذر قومه وينذرهم كلنا .
نرى القضايا بحجمها الحقيقي ، لكن بعد فوات الأوان ! ، وبعد أن نكتوي بنارها ،
وتفوتنا فرصها الذهبية ، لكن الحكيم يأتي في الوقت المناسب ، كما قال سفيان
الثوري : » إذا أدبرت الفتنة عرفها كل الناس ، وإذا أقبلت لم يعرفها إلا العالم « ! .
العالم (الحكيم) الذي وصفناه ، أما أهـل الاختصاص ، الذين أذهبوا العمر في
تفتيق المعرفة حول شيء بالغ الصغر ، أو حول (لا شيء) : فهؤلاء جنود التقدم
العلمي ، لكن حظوظهم من إشراقات الحكماء محدودة للغاية ! .
هـ ترتفع درجة المرارة في داخلنا على مقدار فقدنا للحكمة ؛ والنزق والبَرَم
الذي نبديه حول كل ما لا يعجبنا سببه جهلنا بالأسباب والجذور والسنن وطبائع
الأشياء ومنطق سيرورتها . أما الحكيم : فإن مرارته لا تنبع من مفاجآت الأحداث
وفواجعها ، وإنما من غفلة الناس واستخفافهم بالمواعظ التي ألقيت عليهم ، ونبهتهم
إلى النهايات المحتومة التي يندفعون إليها دون أي حساب أو تقدير لفداحة الخطب
الذي سيواجهونه . إن الآلام التي نشعر بها عند ظهور بعض النتائج تكون مكافئة
في العادة للمسرات التي عشناها يوم كانت (عقولنا مستريحة) ومشاعرنا غارقة في
عالم الملذات والأوهام ! .
ما ذكرناه من أنوار الحكمة وفضائلها غيض من فيض ، ولا يشف عن
محاسنها قول كقول الله (تبارك وتعالى) : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [البقرة : 269] .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ج3 ، ص330 .
(2) السابق : ج2 ، ص131 .

خواطر في الدعوة

اللهم إني أشكو إليك عُجري وبجري

محمد العبدة

شكوى يجأر بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما عاناه
من الأقربين قبل الأبعدين ، فكم عانى من المشاغبين في صفوفه الذين جرعوه
الغصص ، وحملوه الهموم والأحزان ، وشوشوا عليه رأيه ، وذلك لكثرة اختلافهم
عليه ، وكثرة آرائهم واقتراحاتهم ، وكم كان موفقاً مَنْ أشار عليه بألا يترك المدينة
النبوية حيث القاعدة الصلبة التي شكلت المجتمع الإسلامي الأول .

إن هذه الدعوة لايقوى على حملها أصحاب النفوس المريضة والأساليب
الملتوية ، الذين ألفوا الجدل وحب المخالفة ، واستهوتهم الزعامة ولكنها متسترة باسم
المخالفات الاجتهادية وباسم الحرص على نجاح الدعوة .

وإننا في هذه الأيام أجدر من أمير المؤمنين بالشكوى ، لما نعانيه من شباب
لمّا يذوقوا طعم العلم ، وراحوا يفتون ويتصدرون ، فلا تأدبوا بآداب العلم ولا تخلقوا
بأخلاق العلماء . ومن شباب ضاق ذرعاً بواقع المسلمين الأليم ، فاستفزه الواقع في
تعجل الحل ، وعندما أعيته الأمور ، ووقع في مشكلات صعبة ليس من السهل
الخروج منها ، راح يبرر فعلته بنصوص مقطوعة من هنا وهناك ، وأبى الاعتراف
بالخطأ والرجوع للحق .

ومن شباب فيهم خير كثير ، وفيهم ذكاء وعلم ، ولكنهم وضعوا كل إمكاناتهم
في خدمة (مستقبلهم المعيشي) ، فهم خائفون مضطربون لاينتهي أحدهم من درجة
علمية حتى يطلب غيرها (ولو لم تكن في اختصاصه) ويتقن أمور دنياه التي توصله
إلى مايريد ، ولكنه لم يتقن أمور دينه بالدرجة نفسها . ومن شباب لايظهر قدرة الله
فيه ، ولاينطلق إلى آفاق أوسع ، فآماله قصيرة وآلامه قليلة ، وهمته ضعيفة .

ونشكو من شيوخ قد أقعدتهم المحن المتوالية والفشل المتراكم عن الاستمرار

في الدعوة والمطاولة والمصابرة ، فانزووا على أنفسهم يتذكرون الماضي وما
أصابهم من الصديق قبل العدو ، فأورثهم ذلك عُقداً مستعصية ، وإذا كلمته في شأن
من شؤون الدعوة نظر إليك بابتسامة ساخرة ، وكأنة يقول : ليس ثَمّة فائدة .

ومن شيوخ يريدون من الشباب أن يسيروا بسيرهم ويفكروا بتفكيرهم ،
ولايراعون ظروفاً جديدة ولا تغيرات طرأت ، ولاتحولات فكرية ، ولم يتابعوا
الأحداث وما ولدت ، فكأنهم يعيشون الخمسينات أو الستينات ، وهذا مما يجعل
الشباب محنقاً ثائراً ، لايستفيد من تجربة ولايسمع إلى قول ، ويبدأ من حيث انتهى
الآخرون ، وربما أدى ذلك إلى الطيش والتهور .

هل هذا يأس ؟ !

كلا ، بل الخير في الأمة الإسلامية كثير ، ويحتاج إلى من يملك مفاتيح هذا
الخير ، ويقدر على فتح الأبواب المغلقة .

دراسات اقتصادية

وقفات متأنية مع
عمليات التمويل في البنوك الإسلامية
(4)
المشاركة المنتهية بالتمليك

د . محمد بن عبد الله الشباني

من الأساليب التي تتبعها بعض البنوك الإسلامية في تمويل الاحتياجات
الاستثمارية ما يعرف بالمشاركة المنتهية بالتمليك ، ويطلق أحياناً على هذا النوع من
التمويل المشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك ، أو المشاركة التنازلية [1] .

والكيفية التي يتم بها هذا النوع من التمويل تقوم على أساس عقد مكتوب يتم
بمقتضاه تأسيس علاقة تعاقدية بين البنك كشريك ممول بجزء من المال والعميل
كشريك ممول بالجزء الآخر من المال ، بجانب تقديمه الجهد والعمل اللازم لإدارة
النشاط الاقتصادي ، بموجب هذا العقد يتناقص حق البنك كشريك بشكل تدريجي
يتناسب تناسباً طرديّاً مع ما يقوم العميل بسداده للبنك من قيمة التمويل المقدم ،
وبالتالي : كلما قام العميل بشراء جزء من نصيب البنك في التحويل كلما تناقصت
نسبة البنك في المشاركة ، وهكذا حتى يصبح نصيب البنك من المشاركة صفراً ،
وتتحول ملكية المشاركة للعميل بالكامل في نهاية فتره المشاركة المنصوص عليها
في العقد .

تأخذ صيغة التعامل بهذا النوع من التحويل عدة أشكال ، أهمها ما يلي : [2]

الصيغة الأولى : يتم إحلال العميل محل البنك بعقد مستقل ، وبعد إتمام عملية
التعاقد الخاص بعملية المشاركة الأصلية ، وتعطي هذه الصيغة الحرية الكاملة لكلا
الطرفين في التصرف ببيع حصته من رأس مال الشراكة إلى الطرف الآخر أو إلى
غيره .

الصيغة الثانية : يتم بموجبها الاتفاق بين البنك وعميله المشارك على حصول

البنك على حصة نسبية من صافي الدخل أو العائد المتحقق فعلاً في إطار مبلغ يتفق
عليه ، ليكون ذلك الجزء مخصصاً لسداد أصل ما قدمه البنك من تمويل ، أي : إنه
يتم تقسيم الإيراد المتحقق إلى ثلاثة : الأول : حصة البنك كعائد للتمويل ، والثاني :
حصة الشريك كعائد لعمله ، والثالث : حصة البنك لسداد أصل مبلغ التمويل
المشارك في رأسمال المشاركة .

الصيغة الثالثة : يتم بموجبها الاتفاق بين البنك وعميله المشارك على تحديد
نصيب لكل منهما في شكل أسهم محدده القيمة يمثل مجموعها إجمالي قيمة المشروع
أو العملية موضوع المشاركة ، ويحصل كل شريك على حصة من الإيراد المتحقق
فعلاً ما دامت الشراكة قائمة وتعمل ، ويحق للعميل المشارك إذا ما رأى ذلك مناسباً ، أو وفقاً لرغبته أن يشتري من البنك بعض الأسهم المملوكة للبنك في نهاية كل
فترة أو سنة مالية ، بحيث تتناقص أسهم البنك بشكل تدريجي بمقدار ما يشتري
العميل المشارك من أسهم البنك ، وتزداد حصة العميل المشارك إلى أن يمتلك
الأسهم كلها ؛ فيصبح المشروع ملكه بالكامل .

الصورة التطبيقة لهذا النوع من التمويل تتمثل في قيام البنك بتمويل بناء
أرض مملوكة للعميل ، أو شراء أصل ، مثل سيارة ، يتولى العميل العمل عليها ،
على أن يأخذ البنك نسبة من الدخل الصافي ، والباقي من صافي الدخل يتم تقسيمه
إلى ثلاثة أقسام : قسم للعميل مقابل إدارته وتشغيله للأصل ، وقسم للبنك كعائد
لاستثماره ، وقسم يتم خصمه من قيمة الأصل بحيث يتم تناقص قيمة تمويل الأصل
إلى أن تنتهي قيمة الأصل وتعود ملكيته إلى العميل .

طبيعة العلاقة ما بين البنك والعميل قائمة على أن البنك يتولى التمويل وينال
نسبة من العائد لقاء تمويله ، ويقوم العميل بالسداد من الدخل الناتج عن هذه
المشاركة إلى أن يتم سداد كامل ما قام البنك بدفعه لتمويل هذه المشاركة مع ربح
يضاف إلى قيمة البيع ، فمثلاً : لو أن البنك قام بشراء سيارة بقيمة عشرة آلاف

ريال ، يقوم ببيعها في نهاية مدة ثلاث سنوات باثني عشر ألف ريال ، يتم سدادها
من صافي الدخل بعد خصم نسبة من هذا الدخل للبنك ، ونسبة لسائق السيارة
(المالك لها مستقبلاً) ، والباقي يمثل القسط السنوي ، فلو فرض أن صافي دخل
السيارة ستة آلاف ريال واتفق أن للبنك 10% من صافي الدخل (أي : ستمئة ريال)
كعائد لاستثماره ، والباقى (أي : خمسة آلاف وأربعمئة) يأخذ السائق (العميل) منها
ثلاثة آلاف لقاء قيامه على إدارتها وتشغيلها والباقي (مقداره : ألفان وأربعمئة) تمثل
القسط السنوي ، وبعد اكتمال مبلغ عشرة آلاف ريال الممثل لقيمة السيارة تنتقل
ملكية السيارة إلى السائق (العميل) .
والصيغ الثلاث يمكن تطبيقها على الحالة المشار إليها ، إما على أساس عقدين
منفصلين (عقد مشاركة بين البنك والعميل (السائق) وعقد بيع للسيارة بسعر اثني
عشر ألف ريال) على أن يتم سداد هذه القيمة من الإيراد ، وإما يكون ضمن صيغة
عقد واحد يوجب عند الانتهاء من سداد التمويل انتقال الملكية في نهاية المدة المحددة
للمشاركة إلى العميل (السائق » ، وإما أن يتم تحديد المشاركة بصيغة أسهم قيمتها
عشرة آلاف ريال يقوم العميل (السائق) بشراء عدد منها على أن يحق له شراء
أسهم البنك أو جزءٍ منها في نهاية كل سنة مالية بحيث تنتهي المشاركة بتمليك
العميل جميع نصيب البنك من الأسهم .

الشبهات التي تثار ضد هذا النوع من التمويل تأخذ جانبين :

الجانب الأول : أن المشاركة ليست الهدف من عملية التمويل ؛ فالمشاركة ما
بين العميل والبنك ليست الغاية من عملية التمويل ، وإنما الهدف هو توفير المال
للعميل ، وهذا النوع من المشاركات يمارس من قبل بعض البنوك الإسلامية بقصد
توفير المال اللازم للمشروعات العقارية ، حيث يحتاج صاحب العقار إلى تمويل
لإكمال مشروعه العقاري ، فالقصد من عملية التمويل ليست المشاركة والحصول

على العائد من هذه المشاركة ، وإنما القصد الحصول على عائد للمال الذي قام البنك
بتوفيره للعميل .
الجانب الثاني : أن هذا الأسلوب اشتمل على شبهة قرض جر نفعاً على
أساس شرط عقد في عقد ؛ فهناك عقد مشاركة وعقد بيع ، فهو في حقيقته قرض
يأخذ شكل المشاركة ، فالمشاركة مربوطة بنسبة من الربح للبنك لقاء التمويل وحجز
جزء من نصيب العميل من هذا العائد لقاء سداد التمويل .
إن هذا النوع من التمويل يثير شبهتين : شبهة قرض جر نفعاً ، وشبهة شرط
عقد في عقد ، فهو عقد مشاركة وعقد بيع في آن واحد ، وقد ذكر ابن قدامة في
(المغني) منع هذا النوع من التعامل ، فقال ما نصه : » وإن شرط في القرض أن
يؤجر داره ، أو يبيعه شيئاً ، أو أن يقرضه المقترض مرة أخرى .. لم يجز ؛ لأن
النبي نهى عن بيع وسلف ، ولأنه شرط عقد في عقد ، فلم يجز ؛ كما لو باعه داره
بشرط أن يبيعه الآخر داره ، وإن شرط أن يؤجره داره بأقل من أجرتها ، أو على
أن يستأجر دار المقرض بأكثر من أجرتها ، أو أن يهدي له هدية ويعمل له عملاً ..
كان أبلغ في التحريم « [3] . فالبنك يشترط أخذ نسبة من الدخل كما أنه يقتطع
جزءاً من الدخل ، حتى يستوفي ما قام بتمويله ، فالغرض هو تمويل العقار أو شراء
السيارة أو أي أصل من الأصول التي تُدر دخلاً ، فليس الغرض من عملية
المشاركة الحصول على عائد المشاركة بشكل مستمر ، وعند الرغبة في إنهاء
المشاركة يتم البيع للعميل عند الرغبة ، بحيث لا يقتصر البيع عليه فقط ، وإنما
يكون البيع متاحاً للغير ، ويتحمل البنك ما ينتج عن ذلك من خسارة أو ربح ، أي :
إن البنك يدخل في الغنم والغرم .
وهذا هو ما يشار إليه في العقود ، ولكن ما يتم في الواقع هو أن العميل هو
الذي يقوم بعملية الشراء .. وعليه : فإن العبرة في العقود بالمقاصد وليس بشكلياتها

أو صيغها ، ولولا ضمان العميل بأن البيع سيتم له لما قبل هذه المشاركة ، وعليه :
فهذا الأسلوب من التعامل يخفي خلفه الربا المبطن .
إن اشتراط أن يتم بيع نصيب البنك من المشاركة كجزء من عملية التعامل
سواء أتم البيع بعقدين منفصلين أو بعقد واحد أو بوعد بالبيع من قبل البنك ووعد
بالشراء من قبل العميل (طالب التمويل) ، فهذا الشرط باطل والبيع فاسد ؛ والعلة
في فساد البيع : ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) : » نهى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم- عن بيعتين في بيعة « [4]ومارواه عبد الله بن عمرو عن النبي -
صلى الله عليه وسلم- أنه قال : » لا يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع ولا بيع ما
ليس عندك « [5] وقد حدد ابن قدامة مفهوم بيعتين في بيعة بقوله : » مثل أن يقول
بعتك داري هذه على أن أبيعك داري الأخرى بكذا ، أو على أن تبيعني دارك ، أو
على أن أؤجرك ، أو على أن تؤجرني كذا ، أو على أن تزوجني ابنتك ، أو على
أن أزوجك ابنتي .. ونحو هذا ، فهذا كله لايصح ؛ قال ابن مسعود : » الصفقتان
في صفقة ربا « وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وجمهور العلماء ، وجوزه
مالك « [6] وقد علل فساد هذا العقد بقوله : » إن النهي يقتضي الفساد ، ولأن العقد لا يجب بالشرط لكونه لا يثبت في الذمة فيسقط ،
فيفسد العقد ؛ لأن البائع لم يرض به إلا بذلك الشرط ، فإذا فات فات
الرضا به ، ولأنه شرط عقداً في عقد لم يصح ، كنكاح الشغار « [7] .
ووجه المقارنة بين عقود المشاركة المنتهية بالتمليك بهذا النوع من البيوع
الفاسدة هو أن عقد الشراكة مرتبط بعقد البيع ؛ فطالب التمويل لا يقبل بمشاركة
البنك إلا إذا التزم بأن يقوم البنك ببيع نصيبه من المشاركة خلال فترة زمنية
محددة ، ويقتطع هذا السداد من نصيب العميل من الدخل ، كما أن البنك لا يقبل بالقيام
بالتمويل إلا إذا حصل على نسبة من الإيراد مقابل التمويل ، وقد ضمن بيع
مشاركته للعميل في نهاية فترة سداد التمويل .
ومن أجل توضيح ما أوردوه أطرح المثال التالي لتقريب الصورة للقارئ :

فلو أن شخصاً يمتلك أرضاً ويرغب في بنائها من أجل الحصول على عائد من
تأجيرها ، وتقدم للبنك بطلب التمويل على أن يتم سداد قيمة التمويل من الإيراد
المتوقع من تأجير العقار بعد البناء ، على أن يكون للبنك لقاء التمويل 15% من
الإيراد ، والباقي لصاحب الأرض ، على أن يتم سداد التمويل من الإيراد ، المتحقق
من هذا العقار ، ويأخذ شكل التعامل صيغة المشاركة المنتهية بالتمليك ، بحيث يتم
في نهاية فترة زمنية استرداد التمويل كاملاً وتؤول ملكية العقار إلى صاحب الأرض
(العميل) ، وهذا التمويل وإن أطلق عليه مشاركة أشبه بالقرض الذي جر نفعاً ،
حيث يتحصل البنك على نسبة من الإيراد لقاء مشاركته في التمويل خلال فترة سداد
التمويل ، بجانب ذلك : فإن اشتراط البنك استرداد تمويله من خلال اقتطاع ذلك من
الإيراد أدى إلى انتفاء مفهوم المشاركة حسب المفهوم الشرعى لعقود المشاركات .

والخروج من هذه الشبهة يتمثل في اتباع مفهوم الشراكة السليم : بأن تكون
عملية المشاركة بين البنك وطالب التمويل شراكة فِعْليّة ، يتحقق فيها مفهوم
المشاركة في الغنم والغرم ، ولا يكون البيع لأحد طرفي العقد شرطاً أو وعداً ملزماً
أوغير ملزم ضمن شروط توفير التمويل ، بل إن الشراكة تقوم على نية العمل على
تحقيق العائد على ما تم استثماره من مال من قِبَل البنك ، ومال وجهد من قبل طالب
التمويل .

---

(1) البنوك الإسلامية ، د محسن أحمد الخضيري ص132 ، الفتاوى الشرعية للبنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار نشرة إعلامية رقم [4] عام 1984م ص73 .
(2) البنوك الإسلامية ، د محسن أحمد الخضيري ص132 ، 133 .
(3) المغني لابن قدامة ج4 ص355 .
(4) أخرجه الترمذي ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في النهي عن بيعتين في بيعة ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج2 ص8 .
(5) أخرجه الترمذي ، كتاب البيوع ، باب بيع ما ليس عنده ، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ج2 ص9 : حديث حسن صحيح .
(6) المغني لابن قدامة ج4 ص258 .
(7) السابق .

مقال

نظرات في قضية
ترجمة معاني القرآن الكريم
(1)

بقلم : د . فهد بن محمد المالك

منذ عدة قرون كانت قضية ترجمة القرآن الكريم وعلى الأصح ترجمة معاني
القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى واحدة من القضايا التي طرحت
نفسها وبشكل كبير على الساحة الإسلامية ، ولكن مع مرور الزمن لم يعد الإقدام
على مثل هذا العمل حدث الأحداث في الإسلام ، ولم تعد المعارضة الحادة مجدية
في قضية أصبحت واقعاً حيّاً لا مجال لإنكاره .

وحيث إنني من المتخصصين في دراسة هذا المجال مجال ترجمة القرآن
الكريم إلى اللغات الأخرى ، فسأحاول بتوفيق الله (عز وجل) في هذا المقال إعطاء
القارئ العزيز بعض المعلومات الأساسية حول هذه القضية التي أشغلت بال وفكر
الكثيرين من المسلمين ، وخصوصاً من يعملون في حقل دعوة غير العرب إلى
الإسلام .

وهدفي من كل هذا : تنبيه أهل الإسلام إلى ما يجري وما يدور حول نقل
« الكتاب العزيز » إلى مختلف الألسنة ، فيسارعون بذلك إلى معالجة الضعف والوهن والخلل المتراكم في تلك الترجمات .

وليس الهدف هنا أن أثير الخلاف من جديد حول جواز الترجمة لمعاني القرآن
الكريم أو عدم جوازها ، فهذا قد أجاب عليه علماؤنا منذ العصور الأولى ، وليس
المقصود هو ترجيح رأي على آخر ، فهذا إنما يجدي ويثمر إذا كان ما يدور الجدل
حوله ما يزال فكرة ، وتحققها أو عدم تحققها يترتب على ما يرجح من رأي ، فليس
الأمر من هذا القبيل ، وليس من المبالغة إذا قلنا : إنه ما من لغة مكتوبة اليوم إلا
وقد ترجم إليها القرآن الكريم ، ومن هذا المنطلق لم تعد القضية : هل نجيز الترجمة
أم نمنعها ؟ إذ ليس في الإمكان منعها لو أردنا ذلك ، فلقد غُمرت الأسواق

بالترجمات ، وزاد عددها عما كان متخيلاً ، ولكن السؤال الذي يطرح
نفسه الآن ،
وقد طرحه عليّ العديد من المهتمين :
أي الترجمات المتوفرة في الأسواق في لغة معينة أصح من غيرها وتنصحون
بها ؟
والحقيقة : إن الإجابة على هذا السؤال بما تطمئن إليه النفس ، غالباً ما تكون
عسيرة وصعبة ، لأن ذلك يتطلب فاحصاً من نوع خاص ، فاحصاً يجيد اللغة
العربية وفنونها وبلاغتها ، ويجيد كذلك اللغة المترجم إليها ، وتكون عنده من الثقافة
الإسلامية الأصيلة ما يمكنه من الحكم على ما تؤديه الترجمة من معنى يتفق مع
المعايير الإسلامية الصحيحة في اللغة المترجم إليها ، وحتى نكون أكثر واقعية ،
فإنه مهما كانت كفاءة وقوة الترجمة ، فإننا لا نتوقع أن يستطيع ويتمكن المترجم من
نقل وترجمة جميع الإبداعات والمعاني البلاغية الموجودة في النص العربي ، وما
ذلك إلا لقوة اللغة العربية ، ويكفي في ذلك دليلاً ما ذكره أحد المتخصصين في علم
الترجمة : » لا توجد ترجمة مهما كانت مصداقيتها يمكن القول إنها ناجحة تماماً « .
لذلك : فقد وجد المترجمون الذين قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم من اللغة
العربية مباشرة صعوبة ترجمة ونقل نفس ما هو موجود في النص العربي .
وأكبر دليل على ذلك : ما نجده في أن كثيراً من الذين قاموا بترجمة معاني
القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية مثلاً قد حاولوا الهروب من تسمية أعمالهم
» ترجمة « ، وسموا محاولاتهم أسماء أخرى ، فعلى سبيل المثال : أطلق
» محمد مرمادوك « على عمله اسم : » معاني القرآن الكريم « ،
وأطلق محمد أسد على عمله : » رسالة القرآن « ، كما أطلق الإنجليزي » آدري « على عمله
اسم : » القرآن مفسراً « .

الغرض من ترجمة معاني القرآن الكريم :

إن المقصود بترجمة القرآن الكريم هو : نقل نصوصه من اللغة العربية إلى

اللغات الأخرى ، وذلك حتى يتسنى لمن لا يتقن اللغة العربية أن يتفهم ولو شيئاً
يسيراً مما في هذا الكتاب العزيز .
ولقد اختلفت أغراض المترجمين بحسب توجهاتهم الدينية ومذاهبهم الفكرية ،
ويمكن تقسيم هذه الأغراض إلى نوعين من المحاولات :
أ) محاولات منصفة ومخلصة ، قام بها مسلمون كان غرضهم الأساس هو
إيصال وتوضيح رسالة القرآن الكريم لمن لا يتقن اللغة العربية .
ب) محاولات غير منصفة ، قام بها أناس حاقدون على الدين الإسلامي ،
وكان غرض بعضهم هو طمس معالم الدين الإسلامي الصافية والتشكيك في رسالة
الإسلام .
ومن ذلك : ما قام به بعض المترجمين المستشرقين من محاولات التشكيك في
نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وكان غرض بعضهم الآخر هو خدمة ونشر
الأفكار والمفاهيم الباطلة التي يعتنقها : مثل ما قام به بعض أدعياء الإسلام من
المترجمين الذين بثوا سموم ضلالاتهم ، وانحرافاتهم في ترجماتهم ، فالقادياني مثلاً :
يصوغ ترجمته بما يخدم العقيدة القاديانية ، وقل مثل ذلك في المترجم الشيعي
والمترجم الصوفي .
ولعله من بدهي القول أن الترجمة هي : نقل الكلام من لغة إلى أخرى ،
وتكون بإحدى طريقتين :
أ) عملية توصيل ونقل معاني القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغات
الأخرى ، وهذا النوع كان متبعاً حتى في زمن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ،
وليس هناك خلاف بين علماء الإسلام حول جواز هذا النوع من الترجمة .
ب) عملية تقديم النص القرآني حرفيّاً بلغة أخرى غير العربية ، وبالتالي :
تحل هذه الترجمة محل النص القرآني العربي ، وحول هذا النوع يكاد يكون هناك
شبه إجماع بين علماء الإسلام المعتبرين على استحالة وعدم جواز مثل هذا النوع
من الترجمة . ويمكن عزو ذلك إلى أسباب ، منها :

1- أن المرادفات الأجنبية لا تستطيع نقل الظلال التي تحملها الكلمات
والمفردات العربية .
2- تضييق معاني القرآن الكريم إلى معانٍ ومفاهيم محددة باللغة الأخرى
سيؤدي (لا محالة) إلى فقدان واستبعاد معانٍ أساسية ومهمة .
3- سيؤدي إبراز النص القرآني بلغة أخرى حرفيّاً إلى عدم الوضوح وإلى
نوعٍ من الغموض .

لمحة تاريخية عن تطور ترجمات معاني القرآن الكريم :

على الرغم من أنه توجد الأعداد المتوافرة من المجلدات التي تبحث وتدرس
قضايا مختلفة في علوم القرآن ، إلا أنه وحتى الآن لا يوجد عمل موسع ومتخصص
في دراسة العدد الهائل والكم الوافر من ترجمات القرآن الكريم ، سواء الإنجليزية
منها أو غيرها .

ولقد كان للموسوعة التي أصدرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في
إسطانبول عام 1986م دور كبير في توضيح بعض المعلومات عن ترجمة القرآن
الكريم ، وعن عدد اللغات التي ترجم إليها القرآن الكريم ، وعدد الترجمات في كل
لغة ، وحسبما تشير إليه الموسوعة : فإن القرآن الكريم وحتى عام 1980م ترجم
إلى 65 لغة ، وكانت اللغة الأوردية هي أكثر اللغات المترجم إليها ؛ حيث بلغ عدد
الترجمات الأوردية (770) ترجمة مستقلة ، يلي ذلك اللغة الإنجليزية (426)
ترجمة ، ثم اللغة التركية (304) ترجمات .

وفي الأسطر التالية سأحاول أن أعرض مسحاً تاريخيّاً لمراحل تطور ترجمة
القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية بحكم أن تخصصي يدور حول ترجمة القرآن
الكريم إلى اللغة الإنجليزية .

بدايات الترجمة كانت مشبوهة المقصد :

تشير بعض الدراسات إلى أنه لا يعرف بالتحديد من هو أول من ترجم معاني
القرآن الكريم ؟ ومتى ؟ وأين كان ذلك ؟ وتتعذر الإجابة الأكيدة على مثل هذه

التساؤلات ، على أن الشيء المؤكد هو أنه قد ظهرت محاولات ربما تكون كثيرة
لنقل القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية ، وذلك بعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس ،
فمنذ ذلك الحين والرهبان الغربيون بوجه خاص يقبلون على القيام بهذا العمل بدوافع
دينية لدراسة الإسلام ، والوقوف على حقيقة الكتاب الرئيس في الدين الوافد عليهم ،
وذلك محاولة منهم لإيجاد ثغرات في كتاب الإسلام المجيد ، أملاً منهم في الحد من
انتشاره السريع بين ذويهم .

بينما تشير بعض الدراسات الأخرى إلى أن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم
بلغة غربية كانت باللغة اللاتينية عام 1143م ، وقد قام بهذه الترجمة اثنان ، وهما :
» روبرت تشستر - Rebeert of Chester « و » هرمان الدلماطي
Hermann Alemanus « ? وقد استعانا باثنين من العرب واستغرق زمن
الترجمة مدة سنتين .

وقد امتلأت هذه الترجمة بالتزييف والتحريف ، وخلت تماماً من الأمانة
العلمية ، وكثرت فيها الأخطاء ، حتى وصفها أحد الإنجليز بأنها : » غير ناجحة
وغير مرضية ؛ لأنها قدمت الأفكار اللاتينية باستخدام عبارات وكلمات تناسب
المجتمع النصراني ولا تناسب المجتمع الإسلامي « ، كما قال عنها شخص آخر :
» إنها لم تكن بوجه من الوجوه ترجمة أمينة وكاملة النص « .

هذا ، وقد ظلت هذه الترجمة عدة قرون تصنف وتختصر إلى أن انتشرت
المطابع في أوروبا فقام » تيودور بلياندر Theeodor Biliander « من
(زيورخ) بطبعها في مدينة (بال) في سويسرا عام 1543م .

وقد أبرز نشر هذه الترجمة ، وبروزها للساحة دوافع كبيرة لتقديم معاني
القرآن الكريم باللغات الغربية ، لذا ونتيجة لذلك فقد توالت الترجمات إلى اللغات
الأخرى في الظهور والانتشار ، فظهرت ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة
الإيطالية عام 1547م ، والألمانية 1616م ، والفرنسية 1647م .

ففي عام 1647م قام القنصل الفرنسي في مصر بعمل ترجمة لمعاني القرآن
الكريم إلى اللغة الفرنسية ، إلا أن هذه الترجمة وكما وصفها » جورج سيل -
Goorge Sale « : » مليئة بالأخطاء والإضافات « ، ولقيت هذه الترجمة
كسابقتها رواجاً كبيراً وشهرة واسعة .
ولم يعرف أهل اللغة الإنجليزية القرآن الكريم إلا من خلال هذه الترجمات
اللاتينية والفرنسية حتى قام » الكسندر روس Alexander Ros « بعمل ترجمة
لمعاني الكريم باللغة الإنجليزية مأخوذة من ترجمة القنصل الفرنسي سابق الذكر
عام 1649م ، وتم طباعة هذه الترجمة الإنجليزية خمس مرات في بريطانيا ومرة واحدة
في أمريكا .
ولقد كانت هذه الترجمة مثل سابقتها اللاتينية والفرنسية ملفقة مبتورة الصلة
بالأصل الصحيح للقرآن الكريم ، وكان واضحاً أن الغرض منها هو تحريف القرآن
الكريم ، والحكم بتزييفه في كل صفحة من الصفحات ، وكذلك تشويه صورة النبي
محمد -صلى الله عليه وسلم- أمام أعين الغربيين .
وفي عام 1698م ظهرت في إيطاليا الترجمة اللاتينية الثانية لمعاني القرآن
الكريم ومعها النص العربي ، وكان قد أعدها » الأب لويس ماراكسي Father
Louis marracci « وقد ارتكزت هذه الترجمة كغيرها على دعوى أن محمداً -
صلى الله عليه وسلم- هو واضع القرآن ! وأن هدفه هو إخضاع الناس له
بالسيف ، وتعتبر هذه الترجمة من أهم الترجمات التي اعتمدت عليها أغلب الترجمات
الإنجليزية بعد ذلك .
وفي عام 1734م قام » جورج سيل Goorge Sale « بإخراج أشهر
ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية حتى اليوم ، وسماها » قرآن
محمد « ، وقد قُدّر لهذه الترجمة أن تسود العالم الأوروبي والأمريكي
قرابة قرنين من الزمن ، وكان مصدره الأصيل في ترجمته هو : ترجمة
» Marracci « اللاتينية سالفة الذكر ؛ إلا أن هذه الترجمة مثلها مثل
ترجمة » Marracci « اتسمت بالجحود والإنكار للقرآن ، وكانت
ترجمة متعصبة ممقوتة ، تقف ضد القرآن في طولها وعرضها ، وقد

تم طباعة هذه الترجمة ما يزيد عن ثلاثين مرة ، وتم ترجمتها من الإنجليزية إلى اللغة الدانماركية عام 1742م ، وإلى اللغة الفرنسية عام 1750م ، وإلى اللغة الألمانية عام 1764م ، وإلى اللغة الروسية عام 1792م ، وإلى اللغة السويدية عام 1814م ، وإلى اللغة البلغارية عام 1902م .

وتبعاً لذلك ، فقد توالت محاولات ترجمة عديدة قام بها مترجمون إنجليز
إعتمدوا أساساً على ترجمة » Sale « المذكورة آنفاً أو على ترجمات أخرى ،
ومن هذه الترجمات : ترجمة » رودويل -Rodwel « عام 1861م ، وترجمة
» بالمر Balmer « عام 1880م ، وترجمة » بل- Bell « عام 1939م ، وترجمة » داود « عام 1956م ، وترجمة » آدبري « عام 1955م ، كما تتابعت أيضاً محاولات ترجمة قام بها عددٌ من المسلمين غير العرب ، ومن ذلك ترجمة » عبد الكريم خان « عام 1905م ، وترجمة » مرزا عبد العزيز
« عام 1911م ، وترجمة » محمد علي « عام 1916م ، وترجمة » عبد الله يوسف علي « المشهورة عام 1938م ، كما برزت ترجمات قام بها أشخاص غربيون دخلوا في الإسلام ، ومن ذلك ترجمة » محمد مرمادوك باكثال «
عام 1930م ، وترجمة » محمد أسد « عام 1980م .

وبعد :

فهذه بعض اللمحات حول قضية ترجمة معاني القرآن الكريم ، أرجو أن أكون
قد وفقت في توضيحها لك أخي القارئ ، وأعدك بحلقات أخرى قادمة إن شاء الله
تعالى أسلط الضوء فيها على بعض التنبيهات والقواعد الأساسية في ترجمة معاني
القرآن الكريم ، وعلى بعض الملاحظات على بعض الترجمات المشهورة والمتداولة
في الأسواق ، بغية الإرشاد إلى ما فيه خير ومنفعة الإسلام والمسلمين .

مقال

المرأة .. وتخرصات التحريريين

بقلم : علي التمني

القراءة الواعية لكثير مما تنشره بعض الصحف والمجلات تكشف حملة
الأكاذيب التي تشنها هذه الأيام بعض أقلام السوء والهزيمة والتبعية في شأن المرأة

وشجونها ، وذلك من قبل بعض المنابر الإعلامية التي آلت على نفسها إلا أن تكون
حرباً لا هوادة فيها على القيم الإسلامية بعامة وعلى ما يعني المرأة منه بخاصة ،
لقد كان الإسلام وسيظل كريماً مع المرأة والرجل على حدّ سواء ، لأنه الدين الذي
ارتضاه الخالق (عز وجل) ليقود البشرية إلى الرفعة والسعادة والطمأنينة ، خلاف
كل المبادئ الوضعية التي أغرقت الإنسان في الضياع والرذيلة والعبثية ؛ الأمر
الذي أدى إلى فقدان الإنسان المعاصر على وجه التحديد لقيمة الغاية والهدف في هذه
الحياة ، فأصبح الإنسان غير المؤمن بالإسلام ضائعا تائهاً بين مبادئ وأفكار
ونظريات كلها يصب في بوتقة الحسية والمادية والشهوانية بكل صورها وأبعادها ،
أقول هذا لأنني والعقلاء في كل زمان ومكان على إدراك بأن الحياة لاتقوم في فهمها
على مبدأ الاختزال ، اختزال المبادئ في نظرية أو مقولة كمقولة (تحرير المرأة)
على سبيل المثال والتضحية بكل معاني الحياة وجوانبها الأخرى . إن الداعين إلى
تحرير المرأة على الطريقة العلمانية (اللادينية) والداعيات إلى ذلك التوجه في
الوطن الإسلامي كذلك ، إنما ينشدون محالاً من الأمر ، فهم وهنّ في شقاء مستمر
في سبيل الوصول إلى مركب يجتمع فيه الخير والشر في آن ، وكما قلت فذلك :
من المحال ؛ إن الإسلام الذي جاء شاملاً وكاملاً من عند الله لا يمكن أن يكون
ألعوبة في أيدي هؤلاء العابثين المخربين دعاة وداعيات التحرير المزعوم ، فالمرء
مخير بين أمرين لاثالث لهما : إما الإسلام كله ، أو التبعية للجاهلية
المعاصرة كلها ، ولاخيار ثالث لهما ، فليعِ هذا من أراد مناطحة الجبال .

لقد ظهرت الدعوة إلى تحرير المرأة في أوائل القرن العشرين (الميلادي » في
صور مختلفة وأساليب متعددة وإن كانت الغاية واحدة في كل الأحوال لجميع الدعاة
إلى هذا الأمر الغريب العجيب :

فهناك الوضوح السافر في الدعوة إلى تحرير المرأة وخروجها على تعاليم

ربها (سبحانه وتعالى) ومن خلال الكتب المنشورة على أوسع نطاق ككتابَي قاسم
أمين : » تحرير المرأة « و » المرأة الجديدة « .
وهناك الدعوات المستترة المترددة التي تخشى رد فعل المسلم الغيور على دين
الله القويم ، وكتابات بعض كاتبات هذه الأيام في بعض المجتمعات الإسلامية التي
وقفت بكل صلابة في وجه دعاة التغريب والذوبان في الآخر غير المسلم وهي التي
تعرف بالمجتمعات المحافظة لدى بعض كتاب التغريب في تناولهم لهذه المجتمعات
المسلمة المخلصة لدينها ، أقول : تبدو دعوات التحرر المستترة الخائفة المترددة تلك
في كتابات بعض كاتبات تلك المجتمعات تارة بتسفيه نص من القرآن أو من السنة ؛
كتسفيه إحدى الكاتبات للحديث الصحيح حول خلق المرأة من ضلع أعوج في
مجموعة قصصية لها بعنوان (والضلع حين استوى » ! ، أو الكاتبة التي تسخر من
الحديث الصحيح » وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن « في
قصة لها عنوانها (تمرد) .
ومن تلك الكتابات الداعية إلى تحرير المرأة المسلمة بل تخديرها وصولاً إلى
الهدف المنشود ، وهو : إقصاء الإسلام من الحياة ، تلك التي تعتمد الكذب والبهتان
بمناسبة وغير مناسبة .. التأكيد على أن الكثير من الأحكام المتعلقة بالمرأة مثل :
الحجاب الشرعي المتضمن حجب الوجه عن
الأجانب والميراث ، والقرار
في البيت
، وعدم الخروج إلا لحاجة وفق الضوابط المشروعة ، وكذا الشهادة ... وغيرها من
الأمور المتعلقة بالمرأة المسلمة ، هذه الأحكام عند هؤلاء ليست من الدين في شيء
رغم قناعتها بأنها من الدين وهي تحاول جاهدة وبكل ما تملك من قدرة على الإقناع
أن تغرس هذه الأغاليط والأكاذيب في عقول وأفئدة القراء ، وهي في أكاذيبها تلك
إنما تحاول الإيهام بأنها ليست ضد الدين (الصحيح) ، بل ضد ما تزعم أنه ليس من

الدين في شيء ، مدعية أنها بعملها ذاك إنما تخدم الدين وتذود عنه الجهلة الذين
يشوهون وجهه المشرق (سبحانك هذا بهتان عظيم) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا
يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ [النور : 16] .
ومن صور الهجوم على المرأة المسلمة والدعوة إلى تحريرها في كتابات
أدعياء التحرير والتنوير : القول بأن ما ورد في القرآن والسنة حول المرأة أحكاماً
وآداباً ملزمة للأمة من قبيل ما تقدم في الفقرة السابقة إنما هو قشور وفروع لا قيمة
لها ، ولن يترتب على تخطيها أدنى ضرر ، بل إن إيقاع العصر في زعمهم يتطلب
هذا التخطي والاستبعاد لهذه الأحكام التي لم تعد صالحة لعصر الصعود إلى القمر
ودخول سباق الفضاء وعالم الحاسوب وغير ذلك ، وكأن التقدم العلمي والتقني لن
يتحقق إلا على أنقاض الفضيلة والإيمان والالتزام بأحكام وقيم الإسلام الخالدة ، التي
هي في الواقع لمن لم تطمس فطرته النقية ولم تذهب معالم الإيمان من نفسه هي
خير معين على العطاء والعمل والابتكار بما ينفع الناس ، إنها الهزيمة النفسية
والمعنوية ، حينما تحل في امرئ فإنها تفقده القدرة على التمييز بين الحق والباطل ،
فيرى الحق باطلاً والباطل حقّاً ، والله المستعان .
إن الهجوم على المرأة المسلمة إنما هو هجوم على قيم الإسلام ، ذلك أن
الدعوة إلى تحرير المرأة إنما هو تسفيه لدينها الذي هو عصمة أمرها وهو اختيارها
ووجودها عبر أكثر من أربعمئة وألف من الأعوام ، وهو الذي أخرجها من ذل
وأسر الجاهلية إلى عز الإسلام ، فالدعوة التحريرية دعوة في الواقع إلى إرجاعها
إلى الذل والأسر من جديد ، ودعوة إلى تحويلها إلى دمية لمجرد المتعة على
الطريقة التي يعرفها دعاة التحرير في » كان « و » هوليود « و ... حيث مسارح
الرذيلة وملاهي الخنا .
لقد ملت هذه الدعوات هناك الكثيرات من عاقلات الغرب الذي يسير دعاة

وداعيات إلى الإسلام بكل سعادة وسرور نافضات عن كواهلهن ميراث الكفر الذي
أورثهن الذل والضياع في الدنيا رغم دعاوى التحرر والمساواة التي يتشدق بها دعاة
الرذيلة الذين لا همّ لهم إلا معاقرة الخنا والجريمة عن طريق الإيقاع بالمرأة
واستدراجها بعيداً عن قلعة العفة ؛ لتكون لعبة الرجل المفضلة كما يريدها أصحاب
الفجور الذين لا خلاق لهم ، إن المرأة التي تنطلي عليها هذه المؤامرة واحدة من
اثنتين : جاهلة لاعلم لها بشيء على الإطلاق ، لا بما يحاك ضدها ولا بأمور دينها ، أو عالمة بما يدور حولها وبنتائج هذه الدعوة الخبيثة ، فتكون في هذه الحالة جزءاً
من المخطط الجهنمي الذي يدبر بليل ونهار ، ليس للإيقاع بالمرأة فحسب ، ولكن
لتقويض الكيان الإسلامي من أساساته ، ولن يتم ذلك لدعاة الهدم والتخريب بإذن الله
ثم بيقظة المخلصين ، فليتدبر كل منا أمره ؛ فالخطب جسيم ، والهجمة شرسة ،
والطريق طويل وشاق ، والله المستعان .

دراسات تربوية

افتقار العمل التربوي
إلى الضوابط الشرعية

محمد بن عبد الله الدويش

إن العمل التربوي على اختلاف مستوياته ضرورة لا تستغني عنها الأمة
الإسلامية ، فهو الوسيلة لنقل الأحكام الشرعية من الحيز النظري إلى العمل
والتطبيق ، ولقد وصف الله (سبحانه وتعالى) نبيه بأنه مربّ فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ
فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : 2] .

والتربية واجب الأب والمعلم والأستاذ ، وواجب كل من ولاه الله مسؤولية أحد
من الناس ، وواجب على مستوى الأمة جمعاء .

ولعل من منجزات الصحوة المباركة إيجاد المحاضن التربوية التي أخذت
بأيدي شباب الصحوة وناشئتها ، وساهمت في حمايتهم من أبواب الشر والفساد .

وثمة اعتبارات عدة تؤكد على ضرورة إحاطة الجهود التربوية بسياج ضوابط الشرع ، منها :

أولاً : أن التربية عمل شرعي ، وعبادة لله (عز وجل) ، فلابد لها أن تحاط
بسياج الشريعة ، وتضبط بضوابطها ، وإن سلامة المقصد ، وحسن النية ، ونبل
العمل ليست مسوغاً أو مبرراً لتسور السياج الشرعي وتجاوز الضوابط .

ثانياً : التربية شأنها شأن سائر الوظائف الشرعية الأخرى (الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، الحكم بين الناس ، الجهاد ..) ، وهذه الوظائف لا يجادل
مجادل أنها لابد أن تضبط بالضوابط الشرعية .

ثالثاً : التربية قدوة قبل أن تكون توجيهاً ، وعملاً قبل أن تكون قولاً ،
والمربي ينبغي عليه أن يربي الناس بفعله قبل قوله ، فحين يجاوز حدود الشرع
فكيف سيربي المُرَبّي على الورع والتقوى ورعاية حدود الله ؟ وهو يرى المخالفة
الشرعية ممن يربيه ويقتدي به .

بل إنه من خلال عمله هذا يربي من وراءه على الاستهانة بالضوابط
الشرعية ، ويغرس لديهم الجرأة على ارتكاب المحرمات وتجاوز الحدود
.
رابعاً : وكما أن المربي ينظر إليه بعين القدوة ، فهناك عيون أخرى
ترقبه
وتنظر إليه ، فينظر إليه من الخارج بوصفه واحداً ممن يعمل للإسلام
وعمله يمثل
السمت والهدي الشرعي ، وربما ينظر إليه بعين تبحث عن الخطأ وتفرح به
؛ وذلك
كله يدعو المربي إلى أن يتقي الله ويتحرى الضوابط الشرعية فيما يأتي
ويذر .
خامساً : أن التوفيق والنجاح ليس مرده إلى الجهد البشري وحده ، بل
قبل ذلك
كله إلى توفيق الله وعونه وتأييده ؛ وهذا التوفيق له أسباب ، من أعظمها
وأهمها :
رعاية العبد لحرمات الله ، وما أحرى أولئك الذين يتجاوزون الحدود
الشرعية بالبعد
عن توفيقه (سبحانه) وتأييده .
والمتأمل في الساحة الإسلامية يرى أن هناك تجاوزات عدة في
ميدان العمل
التربوي للضوابط الشرعية تستوجب الوقوف والمراجعة .

ولعل أسباب هذه التجاوزات ما يلي :

أولاً : ضعف العلم الشرعي وقلة العناية به ، فكثير من العاملين في
الساحة
الإسلامية يأخذ الجانب العلمي الشرعي مرتبة متأخرة ضمن برامجهم ،
ولعلنا
نتساءل : ماذا قدمت فصائل العمل الإسلامي لأتباعها في ميدان البناء
العلمي
الشرعي ؟ بل إن الأمر تجاوز مجرد إهمال العناية بالعلم الشرعي إلى
تهميش دوره
والتقليل من شأنه ؛ فهو في نظر هؤلاء يشغل عن الدعوة إلى الله
وهمومها ، أو هو
شأن الخاصة والمهتمين ، أو أن العناية (باستراتيجيات) الدعوة وقضاياها
الفكرية
الساخنة أولى وأصدق دلالة على عمق صاحبها ! ... هذه حجج يواجه بها من
يدعو
بعض العاملين للإسلام لكي يعطوا العلم الشرعي دوره اللائق به ضمن
برامجهم
الدعوية .
ونحن إذ نقول ذلك لا ندعو أيضاً إلى أن يكون الجانب العلمي هو
وحده الهم

الأوحد للدعاة ، وأن يهمل ما سواه ، ولا إلى أن يكون الدعاة فقهاء ومحدثين
ومجتهدين فحسب .

ثانياً : الغلو والمبالغة في دور المربي وواجباته وتعظيم ذلك ، وهذا يؤدي إلى
نقل كثير من المناهي الشرعية إلى دائرة الضرورة ؛ إذ لا تتم التربية إلا بذلك ،
فهو بحاجة لمعرفة معلومات دقيقة عمن يربيه ، والاطلاع على كوامن نفسه ، وإلى
عدم الوقوف عند حدود الظاهر ..

وحين يعطى هذا الجانب أكثر من حقه فسيشعر المربي أن الضوابط الشرعية
ستقف عائقاً دون تأدية أدوار كثيرة فيضطر لتجاوزها .

ثالثاً : ضعف الورع والانضباط الشرعي ، وهو باب بُلي به كثير من الناس
في هذا الزمان ، ومن يضعف ورعه ويرق دينه ربما تجرأ على ما يعلم علم اليقين
أنه محرم ، أو تهاون فيما يستريب منه ، أو يغلبه هواه .

رابعاً : الإغراق في التنظير والأسباب المادية والغفلة عن الإخلاص لله
(سبحانه وتعالى) ، واستحضار النية ، والشعور بأن العمل عبادة لله وحده .

ولا نعني أن يهمل الدعاة إلى الله الأخذ بهذه الأسباب ، فهي مما لابد منه ،
لكن ينبغي ألا ينسينا ذلك استحضار النية والعبادة في هذا العمل .

من صور الإخلال بالضوابط الشرعية :

أولاً : الاتكاء والاعتماد على القواعد الشرعية العامة المجملة دون النظر
للنصوص الخاصة في المسألة , والشريعة باب واحد لا يمكن أن
تتناقض أو تضطرب ، والقواعد العامة للشرع إنما تفهم في إطار سائر
النصوص ، وتسليط الأفهام البشرية عليها يؤدي إلى فوضى واستهانة بحدود الله .

ومن أهم هذه القواعد مراعاة المصلحة ، إذ كثيرٌ من المخالفات العظام في
الساحة الإسلامية تجرأ عليها أصحابها ، وللأسف باسم المصلحة ، وهو المنهج نفسه
الذي يسلكه بعض علماء السوء وأهل الأهواء في تبرير مواقف بعض الطواغيت .

إن جلب المصلحة ودرء المفسدة قاعدة شرعية عظيمة لا جدال فيها
ولا نقاش ، لكنها يجب أن تكون ضمن ضوابط ، من أهمها : ألا تخالف نصّاً
أو حكماً شرعيّاً ، وإلا كانت مصلحة ملغاة ، ومما قد يمارسه بعض
المربين باسم المصلحة :

التجسس ، والاستماع لحديث الآخرين دون علمهم ، والاطلاع على ما يخصهم دون
إذنهم ... كل هذه الأمور محرمة شرعاً ، لا تبيح المصلحة والتربية تجاوز هذه
الحقوق إلا في أحوال خاصة .
فتجرؤ بعض المربين على تجاوز هذه الحدود الشرعية باسم المصلحة
وضرورة التربية داخل في عموم قوله (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً
مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : 12] ،
وقوله : » من تحلم بحلم لم يره كُلّف أن يعقد بين شعيرتين ، ولن يفعل ، ومن
استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة « [1] .
ثانياً : عدم وضوح قضية الظاهر والباطن :
من القواعد الشرعية أخذ الناس بظواهرهم وعدم التنقيب عما وراء ذلك ، وما
سبق من النهي عن التجسس والتطلع داخل ضمن هذه القاعدة ، ولهذا قال : » إني
لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس « [2]، وقال أيضاً : » يا معشر من آمن بلسانه
ولم يدخل الإيمان قلبه : لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من اتبع
عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته « [3] .
وقال أيضاً لمعاوية : » إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت
تفسدهم « [4] .
وينهى -صلى الله عليه وسلم- الرجل أن يطرق أهله ليلاً ، معللاً ذلك بقوله :
» يتخونهم أو يلتمس عثراتهم « [5] .
وتدعو الشفقة والحرص والعناية المربي إلى التطلع ومحاولة معرفة ما وراء
الظاهر ، والدافع لذلك كله حسن ولا شك ؛ فهو يسعى للتربية والإصلاح ، ويخشى
أن يغتر بالمظاهر ، فيريد قياس نتاج تربيته ، لكن ذلك كله لا يجوز أو يسوغ أن
يكون على حساب الضوابط الشرعية .

ومما يعين المربي على الاقتناع بهذا المسلك ، وتجاوز التطلع : علمه أنه غير
مكلف شرعاً بسوى ما يظهر له ، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نفسه كان يقول : » إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بالحجة من بعض فأقضي له بنحو
ما أسمع « [6] .
إن المربي ينبغي أن يحرص على إصلاح القلوب ومخاطبة الباطن والدعوة
لتنقية السرائر ، لكنه بعد ذلك يبقى يتعامل مع الظاهر لا مع السرائر .

ثالثاً : التهاون بحجة مسائل الاجتهاد :

ثمة قضايا كثيرة ضمن الوسائل الدعوية والتربوية اختلف فيها أهل العلم حلاّ
وحرمة ، ولكل منهم مأخذه ودليله ، فهي دائرة ضمن مسائل الاجتهاد .
والأمر في مسائل الاجتهاد واسع ، ولا يسوغ في ذلك الإنكار والإغلاط
والتهارج ، لكن ذلك قد يشعر بعض المربين أن هذه المسائل ما دامت ضمن مسائل
الاجتهاد فالأمر فيها مفتوح على مصراعيه دون ضوابط ، فيسلك فيها ما يتناسب
معه دون أي اعتبار لأمر آخر .
ولا شك أن كون المسألة من مسائل الاجتهاد لا يسوغ أن يتبع فيها المرء ما
يحلو له ، بل لابد أن يتحرى ويجتهد في اتباع ما يؤدي إليه الدليل الشرعي وليس
هذا مقام بسط هذه المسألة .

رابعاً : إهمال الورع الشرعي الواجب :

ومن صور ذلك :
التوسع في الوقوع في الأعراض ، فقد تدعو طبيعة العمل التربوي إلى
الحديث عن قضايا خاصة للمتربين وانتقادهم ، وقد يتحدث بعض الأساتذة عن
طالب معين بما يكرهه ، والأصل في ذلك كله هو المنع والتحريم إذ هو داخل تحت
النصوص التي تحرم الغيبة وتشدد فيها ، بل تجعل حرمة أعراض المسلمين كحرمة
الشهر الحرام والبلد الحرام إلا ما كان له حاجة ومصلحة شرعية واضحة .
ومن أخطر هذه الأبواب ما يتعلق بقضايا الأعراض ، إذ قد يصارح تلميذ

أستاذه ومربيه بمشكلة تتعلق بهذا الباب فيتجرأ هذا المربي على الحديث عنها لغيره
بما لا ضرورة له ، ولا يسوغ أن تكون المحاضن التربوية ميداناً تلاك فيه
الأعراض ، وتنتهك فيه الحرمات .

وبعد :

ونحن إذ نتحدث عن مثل هذه الأخطاء والتجاوزات فيجب أن نعتدل ونتوسط ، فلا يسوغ أن تكون مجالاً للتندر وانتقاص العاملين لله ، أو أن تحول إلى معول
هدم للصروح التربوية وسعي إلى القضاء عليها بحجة الانضباط الشرعي .

وندرك أيضاً أن الكثير ممن يقع في مثل هذه التجاوزات إنما أُتي من باب
الغفلة والذهول عن مراعاتها ، لا من قبل رقة الدين ، بل أكثرهم خير وأتقى لله من
كثيرين منا .

كما ندرك أيضاً المنجزات الرائعة التي قدمها هؤلاء المربون ، نسأل الله أن
يجعل ذلك في موازين حسناتهم ، وأن يبارك في جهودهم ، ويكلل أعمالهم بالتأييد
والنجاح والتوفيق .

---

(1) البخاري ، كتاب التعبير ، باب من كذب في حلمه ، انظر البخاري مع الفتح : ج12 ، ص446 .
(2) البخاري ، كتاب المغازي ، انظر البخاري مع الفتح : ج5 ، ص110 .
(3) أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في الغيبة ، انظر صحيح سنن أبي داود ، ح 4083 .
(4) أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في النهي عن التجسس ، انظر صحيح سنن أبي داود ، ح/4088 .
(5) البخاري ، كتاب النكاح ، انظر البخاري مع الفتح : ج 9 ، ص251 .
(6) البخاري ، كتاب الأحكام ، انظر البخاري مع الفتح : ج13 ، ص 168 .

نص شعري

المخاض

شعر : تركي المالكي

أمُورٌ على (نَطَعِ) الأسئِلة !
وأكسِرُ صمتي .. ومن أسْدَلَهْ
وأخزِنُ في مقلتي المُشعَلة ..
(أطَايبَ) للغيمة المثقلة ! ! ..
سماءً لخصب الرؤى المقبلة ..
بأجمل غيثٍ له جلجلة !
وإن كان دفقُ دمي أولَه ! !
ومن مهجتي أوقِدُ الشعرَ لَهْ
وأرقبُ دوري إلى المقصلة ! !

ولكن جمري الذي مازجتْهُ المواجعُ ..
إذ أسرجتْه (البصائرُ) ..
يوماً سيَحْصُدُ من كَبّلهْ !

نص شعري

يا دار

شعر : مروان كجك

يَا دَارُ حُبّكِ عِلّتي ودَوائي   وإسَارُ قَلْبِي واضطِّرامُ رَجائي
وتَوَسّلي باللهِ للهِ الذي   يقضي بـ (كُنْ) ويُقِيلُ من عَثْراءِ
دَاري ملاذُ العِزّ إنْ ضاقتْ به   أرضٌ وصارَ غَرِيضةَ السّفَهَاءِ
هِي مَنْبَعُ العِرفَانِ مَهْدُ رُجُولَةٍ   وفَخَارُ أجيالٍ مِنَ العُرَفاءِ
قادُوا الشعوبَ إلى محجّةِ ربهم   وتسابَقُوا في البَذْلِ والإعْطاءِ
جَابُوا قِفَارَ الأرضِ واتخذُوا الذّرَى   لأذَانِهِمْ وتهيؤوا لِمضَاءِ
يا دارُ ما اغتَصَبَ الأمانةَ ظالمٌ   إلاّ أحالَ الأمرَ للعُسَفاءِ
يتنازعونَ الأمرَ فيما بينهم :   مَنْ يُتْقِنُ الإيقاعَ بالشّرَفاءِ
مَنْ يغتدي فِرعَوْنَ أهلِ زمانِهِ   ويصيرُ شيطاناً بكلّ فِناءِ
ويُذِيقُ أهـلَ الأرضِ مُرّ عجائبٍ   مِنْ ضَارِياتِ الحِقْدِ والإيذاءِ
يا دارُ لا واللهِ ، ما ذاقَ الهدى   يوْماً سليلُ عمايةٍ وبِغاءِ
وَرِثَ النجاسة صاغِراً عَنْ صاغرٍ   وقَفَا سبيلَ عصابةٍ دَهْيَاءِ
يَرْبو بها حِقْدٌ ويكسُو وجهَهَا   فِسْقٌ بغيرِ تَحَرّجٍ وحَياءِ
مَكَثَتْ دُهُوراً في الظلامِ تَحُوكُهُ   كَيْ لا تَبِيَنَ مَغَازِلُ الإرْزَاءِ
ظَلّتْ تسيرُ مَعَ الرياحِ وتَعتَلِي   هَبّاتِها وتَغُورُ في الأحْياءِ
حتّى إذا غَدَتِ الشعوبُ قريرةً   واستعبَدتْها حَمْأةُ الأهواءِ
وتَوَسّلَتْ بالذلّ كَيْ تطأَ العُلى   وَهْماً ، وأعْشَتْ أعينُ الجبناءِ
نَجَمَ النفاقُ وصارَ في أرضِ الهُدَى   سَيْفاً ، سَلِيطَ الحدّ للفُضَلاءِ
يَفْرِي فِرَى أهْلِ الحُقُودِ إذا هُمُ   مَلَكُوا رِقابَ الدّهْمِ والحُكَمَاءِ
لَمْ يَبْقَ مِن أهلي سِوَى رَسْمٍ وَلَمْ   تَبْرَأْ يَدٌ مِنْ مِحْنَةٍ وَبَلاءِ
عَمّ الجميعَ مصائبٌ ونوازِلٌ   خافُوا هبوبَ الريحِ في استرخاءِ
هَذاَ أخٌ يخشَى أخاهُ ويتّقي   هَلَعاً لِقا الأصْهارِ والأحْمَاءِ
خَبَتَ الجميعُ وقَدْ غَدَتْ أوْصَالُهُمْ   شَلاّءَ تَحسدُ أهـلَ كلّ بلاءِ
غَابَتْ مَغَاوِيرُ الرجالِ وأطْنَبَتْ   في الأرضِ خيمةُ طُغْمَةٍ جَهْلاءِ
قَطَعَتْ سبيلَ الحقّ وازْدَرَتِ الهُدَى   وتَقَاسَمَتْ أرضِي وظِلّ سَمَائِي
عَبَثَتْ وَمَا وَجَدَتْ لها مِنْ مُنْذِرٍ   أو ناصِحٍ مُسْتَرْشَدٍ لِدَوَاءِ
فَالكُلّ يخطِبُ حَظّهُ مِنْ حَظّهَا   ويدورُ في فَلَكٍ بِلا اسْتِحْياءِ
خَوْفاً وجُبْناً أو تَقِيّةَ ماجدٍ   يَخْشَى الأذى وشَمَاتَةَ الأعداءِ
يَا دارُ مَجْدُكِ لَنْ يَمُوتَ وَلَوْ سَعَى   دَهْراً جنودُ الشرّ بالبُرَآءِ
أنتِ التي رُوّيتِ بالدّمِ طاهِراً   وسَلَكْتِ دَرْبَ بُطُولَةٍ وفِداءِ
أنتِ التي شَاغَلْتِ أعداءَ الهدَى   حتّى ارْتقى البُنْيانُ للجَوْزاءِ
يا دارُ مَجدُكِ لَنْ يَضيعَ فَأمّلي   خَيراً ولا تَسْتَرْسِلِي بِبُكاءِ
فَالحاقِدُون سَيُغْلَبُونَ وإنْ هُمُ   حَشَدوا جُيُوشَ البَغْيِ والإفناءِ
أو ألّبوا قَوْماً على قَومٍ وَلَمْ   يَدَعُوا سَبِيلَ الْمَيْنِ والإلْهَاءِ
فَلْتصْبِري الصّبْرَ الجميلَ فإنّهُ   تاجُ اليَقِينِ وحِلْيَةُ العُظَماء

دراسات أدبية

« نجيب الكيلاني »
رائد القصة الإسلامية المعاصر

بقلم : محمد حسن بريغش

د . نجيب الكيلاني من الأدباء الإسلاميين البارزين لاسيما في مجال
القصة وقد تناول الكاتب رحلته معها ومعالم نموه الفكري وتطوره الأدبي والفني
عبر ملامح من سيرته ونماذج من أعماله الشعرية والقصصية .
وهاك أخي القارئ الجزء الثاني والأخير من المقال يتابع فيه الكاتب إيضاح
جوانب أخرى .

- البيان -

في مرحلة تالية ، بعد أن ابتعد الكيلاني عن مصر ، وشعر بزوال كثير من
الضغوط : النفسية ، والفكرية ، والاجتماعية ، والفنية ، والسياسية عنه ، تنبه أكثر
إلى ضرورة الالتزام بالأدب الإسلامي ، ولكنه مع ذلك كانت هناك مؤثرات مختلفة
تتنازعه وتضغط عليه ، وأهمها : المؤثرات الفنية التقليدية للقصة ، لقد كان عازماً
ومقتنعاً بضرورة توجهه للأدب الإسلامي ، ولكنه كان يحس بالوجل والصعاب من
ذلك .

« إن للقصة مواصفات وقواعد ، كما أن فيها بعض (التوابل) الضرورية
لجذب القارئ وإقناعه ، أستطيع أن أقول بوضوح : إن الفن القصصي لا بد له من
بعض المغريات الضرورية في خضم تلك السوق الهائلة التي تتداول مئات الألوف ،
بل ملايين النسخ التي يروج لها الإعلان والإعلام والدعاية بشتى ألوانها . وشباب
اليوم نشأ في ظل مواضعات وظروف صعبة غلابة ، ويحتاج للكثير من الحكمة
والحيلة على بداية الطريق الصحيح ، بعد أن تلوث فكره وسلوكه بالكثير من
الانحرافات ... وكانت القصة تعني : الحب ، والجنس ، والمغامرات ، والتسلية ،
وكانت المسرحية ملاذاً للتسرية عن النفس والإضحاك وتزجية الفراغ .. » [1] .

بكل وضوح بيّن ما كان يدور في نفسه ، وما كان يتنازعه ، ولذلك : كان في

هذه المرحلة يتأرجح بين القصة الإسلامية التي يطمح لكتابتها والقصة التقليدية
الغربية السائدة في المجتمع .
ولعل رواية (عمر يظهر في القدس) تمثل نقطة تحول مهمة في مسيرته
الطويلة [2] ، لأنه لأول مرة يستعرض أحداثاً سياسية ، واجتماعية ، وفكرية
معاصرة من خلال رؤية إسلامية واضحة .
وفي نظري : إن هذه الرواية التي تتحدث عن احتلال القدس ، تمثل الرؤية
الإسلامية لما يحدث في عالمنا المعاصر تجاه مقدساتنا ، فالقدس ليست مدينة واحدة
بالرغم مما لها من مكانة وقدسية وما نزل فيها من نصوص ولكنها تمثل كل المدن
الإسلامية التي تستباح بشكل أو بآخر من قِبَل أعداء الإسلام .
فهي صورة بارزة للعالم العربي الإسلامي ، والشخصيات التي ظهرت في
القصة تعد نماذج من مجتمعنا الذي هزمته الوقائع والمدنية المادية والهوى والأفكار
الدخيلة ؛ فسقط صريعاً أو مُحْتلاً أمام الغزو اليهودي بصور كثيرة قبل أن تسقط
مدينته المقدسة .
هناك شخصيات مختلفة في الرواية تمثل نماذج حية في مجتمعنا المعاصر ،
وهناك شخصية المسلم الحقيقي : بوضوحه ، واستقامته ، وإشراقه ، بإيمانه القوي ،
وإسلامه الواضح المميز ، ووعيه وإدراكه ، وإخلاصه وصفائه ، ويقينه وقوته ،
وشجاعته واستقامته .. [3] .
ولهذا : فهي نقطة تحول ، أو بداية مرحلة في مسيرة الكيلاني القصصية ،
وإذا كانت هناك روايات للكاتب بعد هذه الرواية ظلت تتأرجح بين النموذج
الإسلامي وغيره ، فإنها بقيت مَعْلَماً على رؤية جديدة بدأت تتوضح عند الكيلاني ،
وتزداد عمقاً وواقعية .
لقد كان الدكتور الكيلاني يتلقى كثيراً من الملاحظات والنقد على بعض
رواياته بعدما أصبح تيار الأدب الإسلامي واضحاً ، وكان (رحمه الله) بدماثته
وطيب خلقه يصغي لكل نقد ، ويتقبل النصح ، ويناقش بهدوء كل فكرة ، وكان لهذه

الملاحظات أثرها في نضوج كثير من الآراء والنظرات لديه ، حتى بات بحق
يعيش قضية الأدب الإسلامي ، ويعيش قضية القصة الإسلامية ، ويهمه أن يعرف
الشكل الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه هذا الفن الذي أحبه ، ولم يعد يخاف من
أعداء (الإسلامية) من النقاد والأدباء ، فقد ترسخت قدمه في الفن ، وأصبح عَلَماً في
مجال القصة ، مما ساعده على أن يخطو خطوة أخرى لإبداع النموذج الصحيح
الذي لا يتنافى مع التصور الإسلامي ، ويمتلك مميزات هذا الفن .

ولقد كانت رواياته الأخيرة تمثل هذه الخطوة ، أعني روايات : ملكة العنب ،
وأهل الحميدية ، وقضية أبو الفتوح الشرقاوي ، وامرأة عبد المتجلي ، ومملكة
البلعوطي ، إضافة إلى مجموعة الكابوس ، وغيرها .

وفي رواية (ملكة العنب) وغيرها ، كأن الكاتب ودع التردد الذي كان ينتابه
ويجعله وسطاً بين منحى الأدب الإسلامي ومنحى المذاهب الأخرى [4] .

وختم الكاتب حياته الفنية بكتابة روايته (مملكة البلعوطي) التي استقاها من
حياة جده إبراهيم الذي كان « شخصية مميزة قوية بمعايير القوة الشائعة في ذلك
العصر كان مرهوب الجانب ، مطاع الكلمة على الرغم من عدم ثرائه » [5] ،
وعُرف جده أيضاً بالاستقامة والصدق ، والرجولة والعفة ، واشتُهر أمره في بلدته
وما حولها ، وجرت أحداث كان هو قطبها ، وأصبحت له مكانة مميزة بين الناس
والمسؤولين ، وحين مات جده بكته القرية وما حولها [6] ؛ لأنه كان شهماً كريماً ،
يحرص على إخراج زكاة المحصول ، ويغدق ما أمكن على الفقراء ، ويصل
الرحم ، ولهذا جعله موضوع قصته (مملكة البلعوطي) .

إن الدكتور نجيب الكيلاني عبر رحلته هذه كان يخوض تجربة قاسية صعبة
في ظروف تحول دون ظهور أي مبدع إن لم يكن موافقاً للتيار العلماني المهيمن ،
ولكنه استطاع أن يثبّت قدميه في مجال الفن أولاً ، ثم يجلي صورة الأدب الإسلامي
والقصة الإسلامية .

وإذا كان للدارسين من ملاحظات على مسيرته الأدبية فإنه من العدل أن نأخذ
في الاعتبار الظروف التي أحاطت به ، وثباته على الطريق الموصل إلى الأدب
الإسلامي رغم هذه الظروف .

إنه كان يجتهد ، ويبدع ، ويضع لشداةِ هذا الفن النماذج ؛ فيتعرّفوا من خلال
هذه النماذج إلى أمثلة تطبيقية واقعية ، ويتلمّسوا سبل الوصول إلى الصورة المبتغاة ، ولو لم تكن لديهم مثل هذه النماذج الإبداعية لما استطاعوا أن يتعرفوا إلى صورة
القصة التي نريدها ، أو التحدث عنها كواقع مبدع .

إن الكتابة عن شروط القصة ، ووصف عناصرها لا يبدع لنا فنّاً . الفن
يحتاج إلى فنان موهوب مبدع ، فنان يمتلك القدرة على العطاء ، وعلى تحويل
الفكرة إلى واقع وأثر فني .

والأدب الإسلامي ، والقصة الإسلامية المعاصرة : مدينةٌ للكيلاني في هذا ،
ولا يمكن دراسة القصة الإسلامية المعاصرة بدون التوقف عند الدكتور الكيلاني رائد
القصة الإسلامية المعاصرة .

وأيّاً كانت الملاحظات التي تؤخذ عليه ، فإنه يبقى في المكانة الأولى التي
استحقها بجدارة من خلال إنتاج كثير ، وأصيل ، يمثل مراحل تطوره ، ومكافحته
للوصول إلى نموذج القصة الإسلامية المعاصرة ، دون أن يخل بقواعد هذا الفن ..
ولقد تحقق له ذلك .

إن عالم القصة عند الكيلاني مليء بالموضوعات التي تستحق أن يتوقف
عندها الدارس ؛ فهي تشير إلى كثير من القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية
والسياسية التي مرت بها البلاد العربية على مدى قرن أو أكثر .

فضلاً عن ذلك : فإن الكيلاني اهتم بقضايا الإنسان كإنسان ، وكانت صورته
واضحة ، تُسْتَقى من التصور الإسلامي الذي ينظر للإنسان كما أراده الله مخلوقاً
مكرماً ، له حقوقه ، ومكانته ، وحرمته ، وأبدع في تصوير قضايا الإنسان أيّما
إبداع ، بحيث لا يملك القارئ إلا أن يتعاطف معه ، ويؤمن بأن حقوق الإنسان لا
تصان إلا إذا التزم الإنسان بشرع الله ، واحتكم إلى كتابه .

وكذلك اهتم الكيلاني بمشكلات الريف ، وصوّره بأجمل الصور وأدقها ، وكان
وفيّاً لبلدته ومنطقته ، وللريف عامة الذي عاش فيه ، ولهذا استقى منه كثيراً من
الحوادث والشخصيات ، وجعله رمزاً للإنسان ، والقيم ، والوطن ، والأمة كلها ،
وتعاطف مع أبنائه ، وتحدث عن مشكلاتهم ، وصوّر مآسيهم وأبرز صفاتهم . إن
هذا الجانب جدير بدراسة متعمقة تلتفت إلى الكليات ، والجزئيات ، والأفكار ،
والشخصيات التي أبدعها خلال قصصه ، وإلى الصور والمشكلات التي عالجها من
خلال الريف .

وكذلك كان للكيلاني مجال آخر أبدع فيه ، وأكثر من تصويره ، وهو :
السجون بما فيها من سجناء ، وسجّان ، ومظالم ، ولمحات إنسانية ، وصور القهر
والتعذيب ، وانقلاب الإنسان إلى وحش أو أدنى درجة من الوحش حين يتخلى عن
إنسانيته ، أعني حين يتنكبّ عن طريق الهدى ، ويمعن في الضلال .

إن موضوع السجن بكل ما فيه من حوادث ، وشخصيات ، وصور نفسية
وإنسانية ، ومشكلات فكرية واجتماعية وسياسية : كان من الموضوعات التي
استأثرت باهتمام الكاتب ، وهو جدير أيضاً بالدراسة والمتابعة [7] .

لقد مات الكيلاني (رحمه الله) بعد أن ترك تراثاً أدبيّاً من الدراسات الأدبية
والنقدية ، والإبداعات الشعرية والقصصية والمسرحية ، وكانت إسهاماته هذه أكثر
قدرة على خدمة الأدب الإسلامي من التصريحات ، والخطب .. والتنظير ، وهو
يستحق من محبي الأدب الإسلامي الاهتمام والدراسة ؛ لما في ذلك من فوائد وآثار
على مسيرة الأدب الإسلامي الحديث .

---

(1) رحلتي مع الأدب الإسلامي ، نجيب الكيلاني ، ص 38 .
(2) إن بعضهم يعترض على هذه القصة ؛ لأن الكاتب يتمثل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب من خلال الحلم يشهد وقائع احتلال القدس من قبل يهود ، وبالتجاوز عن هذه النقطة التي تتعلق بحكم جواز مثل ذلك أو عدمه ، نتحدث عن الرواية .
(3) انظر : كتاب (في الأدب الإسلامي المعاصر) ، ص197-209 .
(4) دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة ، ص123-146 .

(5) لمحات من حياتي ، ج1 ، ص23 .
(6) من الأمور التي تستحق الوقوف والعبرة : أن جده مات بالمرض الذي كان سبب وفاة الدكتور نجيب أيضاً ! .
(7) سوف أقوم إن شاء الله بدراسة وافية للدكتور الكيلاني ، تشمل هذه الجوانب وغيرها .

دراسات نقدية

قراءة غير نقدية

د . حسن بن فهد الهويمل

(1- 1) ربما يكون الانطباع والتذوق أكسيرا النقد ، وهما بلا شك
بدايته الأولى ، يكاد يتفق على ذلك مؤرخو الأدب ونقده
المعروف والمعروف لايعرف على لغة المجاملين أن النقد الحديث
في إطار تطوره أو تذبذبه تجتاحه رغبة » العلمية « في سياق وثنية
العلم والتجريب ، وكل هذه التحولات جزء من هذه الحضارة المادية
المُخَرّفَةِ » للميتافيزيقا « المؤلهة للمادة وجدلية التاريخ .
ومع أنني أختلف تماماً مع ما يذهب إليه » مصطفى محمود « من
تأويل
جريء لحقيقة المسيح الدجال ، إلا أنني أتفق معه في احتمال حضارة
العصر لهذا
التوصيف مع استبعاد قضية المسيح الدجال ؛ فالحضارة المادية تبصر بعين
واحدة ،
بحيث لاتفكر فيما وراء المادة ، وإذ يتورط النقد في » العلمية « و »
القواعدية «
و » المعيارية « يأفل الذوق ويختفي الانطباع ؛ فالناقد على ضوء ذلك
التحول
مطالب بتطبيق تلك القواعد واستخدام تلك الآلات ، وفي إطار معطياتها
يحكم على
النص ، إذ ليس له أدنى حق في القبول أو الرفض الذاتي .
بالطبع لم تكن » علمية النقد « معطى معاصراً ، لقد كان لبعض النقاد
القدامى
رأيهم في العلمية ، فالنحو والصرف والبلاغة هي الأخرى (تَمَعْيَرَتْ) إن
صح هذا
التعبير ، ولم يكن بمقدور أحد أن يخلصها من هذه المعيارية الصارمة ،
ومن حسن
الحظ وقد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت أن كثيراً من النقاد المتعلمنين
لايعرجون
على تلك الآليات ، لا
استخفافاً بها ولكن جهلاً وعجزاً ، وشر البلية أن تعايش هذه الأنواع
العائلة
المستكبرة ، والاستكبار هنا مضاعف ؛ إذ يجمع بين التعالي والادعاء وهما
آفتان

معيبتان ، ولأجل هذا مقت الله العائل المستكبر ، فعلمية النقد المعاصر لاتضع في
اعتبارها آلات تفكيك النص
المعتبرة نحويّاً أو بلاغيّا أو صرفيّاً ، وادعاء العلمية في هذا الإطار أكبر من
حجم المنجز
وآلياته ، ومع أنني احترم علمية النقد ، وأرى قيمة للذوق والانطباع ، فإنني
أجد نفسي قادراً على حل التداخل بين العلمية والذوقية والانطباعية ، ولا أحس
بتعارض أو تضاد هذه المصدريات الثلاث ، بل ربما أصل إلى حد الادعاء : بأنه
لا اختلاف بين تلك المصادر والآليات ، فقط أن يكون الناقد ناقداً بالفطرة والدربة
والمعرفة ... النقد عندي موهبة واكتساب ، هذه الموهبة يصقلها العلم والدربة
والمعايشة المستمرة ، ومن ثم : فإن العالم بآليات النقد لايكون ناقداً ربما يكون
مصححاً للنص تماماً كأستاذ الإملاء ، والمتذوق الانطباعي لايكون ناقداً هو الآخر
دون المعرفة التامة بمكونات النص ومادته وما يكشف عن مواءمته أو مغايرته
لشرط البناء اللغوي والجمالي ، إن هناك شرطاً للبناء اللغوي لايكشفه إلا النحاة ،
وشرطاً للبناء الجمالي لايكشفه إلا البلاغيون ، وهناك معيار جمالي لاينفك عن
التحول من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل ، وتلك هي إشكالية النقد
ومعضلته التي لم تحل بعد .

(1- 2) أحسب أنني استطردت أكثر مما يلزم ، وتلك عادة أشعر
بها ولا أستطيع التخلص منها ، فأنا مسكون بإشكاليات العصر التي
صنعناها بأيدينا ، ولم نحسن التخلص منها أو معايشتها ؛ فنحن أبداً
في قلق وانفعال ونبرة خطابية عالية .

لقد شُغِلْتُ زمناً بمعالجة قضايا تنظيرية ، وصراعات مذهبية استنزفت الجهد
والوقت ، والدراسات التطبيقية هي الأهم وهي الأجدى ولكنها في الوقت نفسه
الأشق ، ففيها امتحان للقدرة ، وفيها استدعاء لكم هائل من الوسائل والأدوات
والآلات والمناهج ، والركض في شرايين النصوص يحتاج إلى طاقات وإلى

إمكانيات ، وإلى تصورات متعددة لفضاءات النص وظروف تشكله ، ونوع لغته
وطريقة بنائه ، ومقاصد رموزه وإشاراته ومجازاته وإيحاءاته ، وهذا الكم الهائل من
الخصائص الكامنة في النص المتميز قد لا تتأتي لدارس مثلي ليست له معرفة تامة
بأصحاب النصوص ، ولم يكن قارئاً لهم ولا راصداً لتحولاتهم ونوع همومهم ، ربما
كان آخر دراسة تطبيقية نهضت بها كانت لأعمال أدبية لمجموعة من الكتاب عن
طريق التحكيم ، وكانت أيضاً لديوان شعر ذي طابع إسلامي صوفي (مع الله)
للأميري ، وهي دراسة لغوية ألقيت في أحدى جامعات مصر ونشرت فيما بعد .

ومر عام أو أكثر لم تتح لي ممارسة الدراسات التطبيقية ، وأحسب أنني
بحاجة إلى مزيد جهد واستذكار لدخول عالم نصوص متباينة لشعراء متباينين ، فأنا
لا أدرس ديواناً واحداً ، كما لا أدرس مجموعة من المبدعين من خلال مجموعة من
النصوص ، ولست متأكداً من توفر هذا الجهد واستحضار ما ندعي من الآليات
بالاستذكار والأعمال الشعرية المفردة لمجموعة من الشعراء تتطلب جهداً استثنائيّاً
لايتصور حجمه إلا الذين مارسوه .

ومجلة (البيان » التي أقحمتني ولم ترأف بظروفي ستتحمل كامل المسؤولية
إزاء مايعتري هذه القراءة (غير النقدية) من هنات لست متواضعاً حين أعترف بها .

قبل البدء أقول ، لا في إزاء هذه النصوص بالذات ، وإنما بإزاء فيض من
الإبداعات والخطابات : إننا بحاجة إلى أن نتجاوز بكائياتنا وجلد ذواتنا وممارسة
الإسقاط للتخلص من المعاناة وتأنيب الضمير ، إننا أمام واقع لم يكن من
صنع أيدينا ، واقع أفرزته تراكمات عبر قرون من الزمن ، واقع لم يكن حدثاً آنيّاً ، ومواجهة
هذا الواقع لا يكون بالنبرة الحادة ولا بمحاكمة الرموز ولا بالمراهنة على تصفيته
بالخطاب البلاغي .

إن خطاب النخبة ونشيد المبدعين رهان خاسر وأحصنة تركض في حلبة

دائرية ، ووعود لا يعول عليها ، إنها مجرد جرعات لتسكين الصداع والغيبة عن ألم
الواقع المرير .
إن علينا أن نكظم غيظنا ، وأن نواجه قدرنا بصمت محتشم وفعل ممنهج
طويل الأجل ، يبدأ بصنع الإنسان عبر التربة الراشدة والتنقية الواعية ، الأمة
بحاجة إلى الوعي الذي أرشد إليه رسول الهدى : » فربّ مُبَلّغٍ أوعى من سامع « .
نحن نطلب هذا الوعي : وعي (الأنا) ، ووعي (الآخر) ، ووعي الإمكانات ،
ووعي الواقع الأوسع من الإقليمية والعربية والإسلامية ، والتحرك على هدي من
هذا الوعي ، وإشكاليات الواقع ليست عربية فضلاً عن أن تكون إقليمية ، وليست
عصرية فضلاً عن أن تكون آنية .
لقد مرت الأمة ومرت نخبها بخطابات تناسخية ، لا يتعظ اللاحق بالسابق ،
ولايمارس اللاحق أدنى حد من نقد الذات ومحاسبة النفس ولا يمتلك ذاكرة تعيد له
بعض الإخفاقات وأسبابها ليكون موعوظاً بغيره ، بل لا يمتلك ذاكرة تعظه بنفسه ..
تهالك على خطاب الإثارة وإدانة الذات وعزوف عن نداء العقل وتحذير الخبرة .
ومضاربة خاسرة تكاد تبيع ماتبقى من مساحات حرة لصوت العقل ، ولست مبالغاً
ولامتجنيّاً ولامجازفاً لو قطعت أو أكدت بأن : الشعر ، والقصة ، والرواية ، وسائر
الأنواع الكلامية تدور في هذا الفلك ، فهي إما سخرية مرة ونقد لاذع للواقع وتحقير
موجع للأمة وتيئيس مفجع وانتهاك سافر لكل شروط الجدل الراشد .. أو رهان
جريء على البديل الأمثل ، وكأن (عصى موسى) مجموعة من العصي الموزعة
على كل من يذعن لهذا الخطاب ويدخل في عباءته دون وعي أو تساؤل .. أو تبعية
أمعية لا تؤمن إلا بالشاهد المادي ، متجهة صوب الحضارة المادية مستهلكة لا
منتجة ، متأسية بالسلوك لا بالعمل ، مجترة النفاية .
وكل الفئات الثلاث تتقاطع أصواتها ويتداخل لغطها ويرتفع ضجيجها ، ولكنها

في دروب التيه والضياع ، ولكي لا أحبط وأسقط ، وأكون جزءاً من هذه الشرائح :
أستدرك أصواتاً مليئة بالحكمة والعقل والتروي والمراجعة ، وكلها أصوات يخنقها
تكاثر المرجفين ، ويضيعها صخب الخليين الذين يمتطون الأمواج حتى إذا تكسرت
على حافات الشواطئ خفوا لاستقبال أمواج أخرى ، أطمئن نفسي ومن هم على
شاكلتي بحديث الذي لا ينطق عن الهوى : » لا تزال طائفة من أمتي على الحق « ،
فالحق والشر لا يغيبان ولكنهما في جولات وصولات ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
النَّاسِ ﴾ ، فإذا غلب الحق انزوى الشر في أضيق نطاق ، وإذا غلب الشر كمن
الحق في قلوب المؤمنين تحرّفاً لجولةأخرى تعلي كلمة الله ، والناس بين امتحان في
السراء والضراء ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾
﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ .

(1- 3) وبعد : لقد جاء المقطعان بمثابة مدخل ومقدمة ، ولم يبق للمتن إلا اليسير ، الأمر الذي سيحملني مكرها على قراءة قصيدة واحدة فقط ، لا لأنها
الأفضل ، ولكن لأنها الأكثر إثارة .

القصيدة للشاعر الدكتور صالح سعيد الزهراني (جغرافيا الرقاب » ص 48
العدد 90 ، والأعمال الأخرى لها نكهتها الخاصة وتصورها الذاتي ، وهي في
مجملها تعبير استفزته ترديات الواقع الإسلامي ، وبكائيات مرة ألحقناها في كل
الطرح الإبداعي ، عنوان النص يقرئك النص ، يكاد يحرقه ، أو قل هو المتن
والنص هامش مركز ، فيه حذر ، وفيه استدراج ذكي للقارئ .

العنوان : خبر ، ومضاف إليه . وكلمة (جغرافيا) مصطلح يتسع لأكثر من
دلالة ، قد تكون جغرافيا فكرية ، أو بشرية ، أو إقليمية ، أو خلقية ... أو ما شئت ،
والرقاب : جمع رقبة ، وهي الأخرى مصطلح يتسع لأكثر من دلالة ، ولكنها
الأقرب تعبيراً عن العبودية ، وفي التنزيل : (فك رقبة) (وفي الرقاب) ، (تحرير
رقبة) ، (فضرب الرقاب) ، وهنا نقترب من أجواء النص ، ولكننا لن نتعجل في

تحديد الدلالة العامة ، وسنكتفي بإثارة التساؤلات ليظل النص مفتوحاً لأكثر من
قراءة ولأكثر من إسقاط ، وسوف أتحامى الوقوع في مصيدة النص فأكشف همي
ومعاناتي الذاتية ، ومن ثم : أزيح الشاعر لأكون أنا المتحدث وأنا المعرف ،
(جغرافيا الرقاب) هل تعني عالم العبيد والمستضعفين وهل المسْتْرِق (بالبناء للفاعل)
هم صناع الحياة والمُسْتَرَقّ (بالبناء للمفعول) الأغبياء ، وما دواعي الرق ، وما
مقاصد الثنائية المتناقضة إلى حد صارخ ، ولماذا وجهت الرسالة لمتناقضين
متضادين ؟ ، كيف يكون شكل التلقي ؟ ، هنا يكون الشاعر بين أمرين ، إما أن
يكون متورطاً ، أو ساعياً للتوريط ، وعلى الحالين فإن القارئ يجب أن يكون حذراً
ويقظاً لكي لا يقع في لعبة الكشف عن القارئ لا الكشف عن القائل .. هي رسالة
إلى فئتين تمثلان التناقض في أقصى درجاته صيغة مبالغة ، وتأكيد (صناع ، جدّاً).
الإشكالية في صيغة التلقي وأسلوب الاستثمار والتوظيف . وثمة
إشكالية ثانية : من يكون هؤلاء وأولئك ، إن تفكيك النص يبرز تعادلية مجحفة وثنائية متدابرة
وليست متآزرة أو متوازية على الأقل ، ليست الفكرة بحد ذاتها غائبة ، إنها
مطروحة في الطريق الجديد في تشكيل الفكرة وأسلوب تناولها واستدعاء كم هائل
من الرموز التراثية لتكون أوعية للطارئ ، ومن ثم فالقصيدة تذكرني بقصيدة
البردوني (غزو من الداخل) .
والشاعر هنا يتحدث من منطقة الحلم ، فهناك مخيلة وذاكرة المخيلة تلعب بين
قطبين : قطب الصور المسترجعة ، وقطب الصور المتخيلة ، والذاكرة تركض
داخل أغلفة التراث تمتطي الإضاءات والعتمات : السليك بن السلكة ، ابن ماجد ،
الكميت الأسدي ، وتركض داخل أغلفة الآخر : (دي جاما) (ماجلان) (رأس
السندباد) .
والذاكرة والمخيلة كقوتين فاعلتين في صناعة النص تتآزران بعيداً عن

المكاشفة الناصعة . إن هناك آتياً يحمل مهمة التحرير ، قد لا يكون تحرير الأرض
ولكنه تحرير الأفهام والمدارك والتصورات ، ومجيئه لن يكون ذاتيّاً ، إنه عبر
رسائله المادية : (الزجاج) (الملابس) (المبيدات) (المأكولات) .
الشوط الأول يمدك ببعض الخيوط ، يضيء مواقع قدميك ، حتى إذا
استشرفت الآتيَ تفلت منك ممعناً في الهروب والتمويه والمغالطة ، ولكن هذا الوعد
الذي يرويه الشاعر ليس إلا لوناً من السخرية بسذاجة وغباء المتلقي .
(باسم تحرير مواليك) لمن يكون الخطاب ؟ ، ومن الآتي ؟ ، ولماذا يأتي ؟ ،
إن هناك مجيئاً ماديّاً ، مجيئاً فكريّاً ، وكلاهما خطر ، ذاك يُضْعِف ، وهذا يفسد ،
والإضعاف والإفساد هدفان للعدو ، فعن أي المجيئين تحدثنا القصيدة التحذيرية أو
التهكمية ؟ .
لن أمضي وراء التخمين فأُحَجّم الدلالة وأحرم القارئ من احتمالاتها وأصادر
فضاءات القصيدة .. ولن أقف حائراً أمام التعددية الدلالية .. إن لي قراءتي
وفرضيتي ، وليكن لغيري ما يشاء من القراءات والتأويلات ، والشاعر الذي هرب
من التسطح وأحادية الدلالة له حقه ، فالشعر الخالد هو الذي يتجاوز زمنه وقضاياه
ليكون في انتظار الآتي .
والشاعر لم يكن أسير أقليميته لقد احتوى الآخر فكانت فضاءات الدلالة أكثر
عمقاً واحتمالات التأويل المتعدد واردة . الشعر رسالة مفتوحة ، ومن الجميل جدّاً أن
يتوقع الحاضر والآتي أنها تخاطبه ، ترسم له طريق الخلاص ، تقدم له رؤية
نخبوية ، وعندما تتأطر الرسالة يتطامن الشعر ويتقزم الشاعر ، ومقياس الانفتاح
والانغلاق : هذا الكم الهائل من الشعر ، وهذا الجم الغفير من الشعراء الذين طواهم
النسيان ولم تتسع لهم صفحات التاريخ .
إن هناك حشداً من الرموز وحشداً من المناجاة وحشداً من الوعود يكتظ بها
النص في أضيق نطاق كلامي .

هذا التكثيف وهذه التداعيات ، تضع القارئ أمام تكاثر لا يدري معه ما
يصيد ، وقد يؤدي ذلك إلى خروجه بدون أدنى قدر من الاستيعاب .
بقي أن أتساءل عن تكافؤ الفرص بين : تكثيف الدلالات وتوفير
الجماليات
الصوتية والتصويرية ، والنص ينطوي على قدر من كل ذلك ، ولكنه يفقد
التعادلية
بسبب لهاثه وراء الإشارات والرموز والجمل القصيرة والقفزات
المتلاحقة التي
تقطع التراسل والتواصل .
والقصيدة بجملتها تأنيبية تتعمد الإدانة لإنسان العصر ، وقد تنطوي على
شيء
من التحذير ، والرموز تمثل السفر ، أو قل : تمثل الإبحار مبارحة الأرض ، أو
قل : تمثل مغامرة من أجل الاكتشاف ، هذا الحشد من السفر والصعلكة
يوحي بالهروب
والاغتراب ، هروب الذات واغتراب النفس ، وهي ظاهرة دلالية في الشعر
الحديث
تكاد تكون مألوفة .

المسلمون والعالم

القضية البوسنية ..
(دروس وعبر)

بقلم : عبد العزيز بن عبد الله

لقد بلغت الفواجع التي تعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك
من الهول
والفظاعة الشيء العظيم الذي سمع به القاصي والداني ، ولم يعد خافياً
على أحد من
المسلمين أو من أعدائهم مدى ما يعانيه إخوانهم في البوسنة والهرسك
من استهتار
بحقوقهم الإنسانية ، ورفض لحقهم في تقرير مصيرهم كغيرهم من
الشعوب .. كل
ذلك على ضوء تعاليم هيئة الأمم المتحدة أو بمباركة من النظام العالمي
الجديد الذي
فتح المجال للحرب العنصرية القائمة على ما يسمى بالتطهير العرقي وما
أدت إليه
من مآس كبرى من الصرب (الأرثوذكسي) ، تلك التي سماها (بطرس
الأصغر)
حرب الأغنياء ، والشيء من معدنه لا يستغرب ، فهو (أرثوذكسي) يحدب
على بني
ملته ولو على حساب مهمته الإنسانية ! .
ولقائل أن يقول : ماذا عسى أن يكون في هذه الأحداث المؤلمة
من الخير

والرحمة ، وما رأينا إلا سفك الدماء وهتك الأعراض وتشريد الأسر وسلب
الأموال ؟ ! إن الجواب على هذا السؤال سهل وميسر إن شاء الله .
ولن يقدر مثل هذا الكلام إلا المؤمن بالله (عز وجل) الواثق بحكمته ، المدرك
لمعاني أسمائه (عز وجل) وصفاته ولآثارها الكريمة الجليلة .
وهذا لا يعني التواكل وترك الدفع ، كلا .. بل يجب إعانة المسلمين هناك بكل
ما يمكن لجهاد عدوهم ، والدفاع عن الديار والأنفس والأعراض ، لكننا يجب أن
نستثمر الدروس والعبر من هذه الأحداث لكي تكون رصيداً ورافداً من روافد الدعوة
إلى الله (عز وجل) ، وذلك بتوظيفها في معرفة الأعداء وشحذ العزائم ، واستنهاض
الهمم ، ووحدة الصف ، وغيرِ ذلك من الآثار الإيجابية .
وما سيقال هنا من الحِكَم والغايات المحمودة في أحداث البوسنة يسري أيضاً
على مآسي المسلمين الأخرى في مشارق الأرض ومغاربها .

ويمكن إجمال الدروس والعبر المحمودة في هذه الأحداث فيما يلي :

أولاً : رجوع الناس في تلك البلاد إلى الإسلام ، حيث برز من بينهم من
يفهمه فهماً صحيحاً بعد أن كان إسلاماً صوريّاً بالهوية فقط ، وما نتج عن ذلك من
التمايز عن الكفار بعد أن كانوا في حالة من الانصهار والذوبان معهم دون علم
بحقيقة الإسلام وحقيقة الكفر ، لكن ما إن اشتعلت الأحداث حتى عرف المسلمون
هناك أعداءهم ، وبدأ التمايز ، ووضح أنه لا التقاء بين الإسلام والشرك والكفر ،
وبخاصة بعد انتشار الدعوة بينهم ، وما ساهم به المسلمون في كل مكان من جهود
في الدعوة والتعليم والإغاثة ، فأحس الناس هنالك برابطة العقيدة بإخوانهم
المسلمين ، فعرفت عقيدة الولاء والبراء ، وظهرت الشعائر الإسلامية ، حيث عمرت المساجد
بالصلاة ، وبرزت ظاهرة الحجاب بين المسلمات بعد أن كن هن والكافرات سواء .
كل ذلك من الخير الذي ظهر بعد هذه الأحداث ، ولو لم يقدر الله هذه الأحداث
المؤلمة لبقي الوضع والله أعلم على ما هو عليه قبل الأحداث من الجهل والفساد

ومسخ الإسلام في النفوس وعلى أرض الواقع ، ولكن الله لطيف خبير ، بر رحيم ،
عليم حكيم ، وهذا الخير الذي حصل من آثار لطف الله ورحمته حيث لم يتركهم
(سبحانه) في انحدارهم الشديد إلى الجهل والفساد والكفر ، بل أيقظهم (سبحانه) بهذه
الأحداث المؤلمة التي كانت سبباً في انتباههم من نومهم العميق ، وسبباً في شعورهم
ببعدهم عن الإسلام ، وانحرافهم الشديد عن عقيدته النقية ، وماذا تساوي كل
التضحيات إذا كانت نتيجتها النجاة من عذاب الهوان والذل في الدنيا ، والنجاة من
عذاب النار يوم القيامة ؟ إنها تصبح ضئيلة بجانب تحصيل هذه المصالح العظيمة ،
وفي ذلك عبرة للمجتمعات الآمنة في أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وإلا
أصابهم ما أصاب غيرهم ؛ قال (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ القُرَى
وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف : 27] .
ثانياً : شعور المسلمين في كل مكان بعداوة الكفار وحقدهم الشديد على الإسلام
والمسلمين مهما اختلفت مللهم وأوطانهم شرقاً كانوا أو غرباً ؛ فالكفر ملة واحدة ،
والحرب التي يشعلونها حرب عقدية مهما أظهروا من دوافع مزورة يغطون بها
كيدهم ومكرهم . وهذا والحمد لله معروف من كتاب الله (عز وجل) ، وما فيه من
فضح للكفار والتحذير من الاغترار بكلامهم والركون إليهم ، لكن هناك من المسلمين
من بَعُد عن كتاب الله (عز وجل) ، واغتر بالكفار وبمعسول كلامهم ، فجاءت هذه
الأحداث المؤلمة لتؤكد للمسلمين في كل مكان ، حتى لمن عشي بصره : أن الكفر
ملة واحدة على المسلمين ودينهم ، وقد حذر الله (سبحانه) المسلمين من هذا الكيد منذ
أربعة عشر قرناً من الزمان ؛ قال (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً
مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا

يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ
مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ
وَإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [آل عمران 118 120] .

كما ظهر من خلال هذه الأحداث كذب الكفار ، وافتضاح أمرهم وغدرهم
وظلمهم حيث ظهرت المعايير المزدوجة ، والموازين الجاهلية ، وهذا الأمر والحمد
لله يفهمه المسلم من عقيدته قبل هذه الأحداث وذلك من الآية الآنفة الذكر وغيرها ،
ولكن كما أسلفت هناك من الناس الذين بعدوا عن فهم العقيدة الصحيحة ، من لا ينفع
معه الكلام ، ولايقتنع إلا بالأحداث ، وما أكثر هذا الصنف من الناس الذي لايستيقظ
من نومه إلا بضربات عنيفة تفتح عينيه وتنبهه من نومه العميق ، فجاءت هذه
الأحداث لتؤكد لكل من عنده أدنى مسكة من دين أو عقل تهافت الشعارات التي
ترفعها هيئة الأمم ومجلس الأمن .. من مثل : رفع الظلم عن المظلومين ، وردع
الطرف المعتدي ، والقضاء على أسلحة الدمار الشامل .. إلخ .

لقد ثبت من خلال هذه الأحداث أن تلك الشعارات ذات معيارين ، فإن كان
الخطر من المسلمين ولو بالهوية طبقت ، وإن كان الخطر عليهم ضاعت الشعارات
وتلاشت ، وترك المعتدي يقتل ويهتك ويدمر على مرأى منهم ومسمع ، وهذه
المواقف على كل حال لاتستغرب منهم ، ولكن المستغرب هو أن ينخدع بكلامهم
ووعودهم من يدعي أنه يفهم شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فلعل
هذه الأحداث توقظ هذا الصنف من الناس وتساعدهم في الرجوع إلى عقيدتهم ،
واعترافهم بالجهل الذي كانوا عليه من دينهم ، وفي ذلكم خير .

ثالثاً : إحياء شعيرة الجهاد بين المسلمين ؛ هذه الشعيرة التي غابت ردحاً من
الزمن حتى وصل الأمر في وقت من الأوقات إلى التهيب من الخوض في موضوع

الجهاد ، والحديث حوله ، أما الآن فأصبح هو حديث المسلمين الجادين في
كل مكان ، وقد ساهم الجهاد الأفغاني على علاته وسلبياته في ذلك
مساهمة فعالة ، وكذلك ما
تزامن معه وما تلاه من حركات جهادية في العالم ، هذا ، وإن كان هناك
بعض
التحفظ على بعض هذه الحركات الجهادية لحاجتها إلى مزيد من التأصيل
الشرعي ،
إلا أنه وبشكل عام كان لرفع علم الجهاد أثر عظيم في ارتفاع المعنويات
والأمل في
عودة الإسلام عودة صادقة شاملة .
ولقد أحست ملل الكفر جميعها بخطر الجهاد وأثره في إحياء
النفوس
واستنهاض الهمم ، فوجهت حربها على هذه التيارات الجهادية في
شخص من
أسمتهم بالأصوليين ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن
قُوَّةٍ وَمِن
رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال
: 60] .
وهذه النتائج الطيبة أفرزها التحدي السافر ، والصراع المرير ، والكيد
العظيم
من الكفار للمسلمين في كل مكان ، وفي ذلك خير إن شاء الله تعالى
إن أُحسِن
استثماره ، ووجه التوجيه الصحيح ، وتعاون المسلمون جميعاً تحت راية
الجهاد ضد
أعدائهم ، ونبذوا الفرقة التي بينهم ، وهذه الثمرة قد وضحت بجلاء في
جهاد
المسلمين في البوسنة أمام أعدائهم الصرب الكافرين ، وجهاد نفر من
المسلمين في
فلسطين أمام اليهود الكافرين المغتصبين .
رابعاً : أظهرت هذه الأحداث طرفاً من خيرية هذه الأمة ، وأن
الشعوب رغم
ما دهاها في دينها فلا تزال فيها بقية من خير وحب للإسلام ، وذلك فيما
ظهر من
التعاطف الشديد من المسلمين بعامة مع إخوانهم المنكوبين ، حيث
برزت أمثلة
رائعة في البذل والتضحية والدعوة إلى الله والتعليم والجهاد ، وذلك بما
وقفه بعض
دعاتها وخطبائها وأغنيائها ومجاهديها من المواقف النبيلة التي تعكس الهم
الإسلامي
في النفوس .

وهذا الخير الموجود في هذه الأمة يعد رصيداً مهمّاً للعودة الشاملة للإسلام إن
استغل ووظف في مكانه المناسب .

خامساً : أن الاتكال على الله ثم الأخذ بالأسباب المشروعة هما طريق النصر
المؤزر إن شاء الله ولاشك أن المواجهة التي تحصل هناك على الرغم من كل
المؤامرات الدولية وعلى الرغم من قلة العدد والعدة .. كل ذلك جعل المسلمين
ينتصرون في كثير من المواقع ويستولون على سلاح العدو ويقاومونه بكل بسالة ،
وأن جمع الكلمة ووحدة الصف والانطلاق من المنطلقات الإسلامية الحقة بإذن الله
كفيل بتعجيل النصر ، وما ذلك على الله بعزيز .

سادساً : إن التوجهات التي تلوح في الأفق بالتهاون في إقامة الدولة الإسلامية
بدعوى أن الغرب والشرق سيقفون ضدها وبدء ظهور اتجاهات مشبوهة بإقامة دولة
مدنية (علمانية) إنما هو طريق الهلاك والخسار وتضييع للإمانة التي وضعها الشعب
المسلم بل والأمة الإسلامية في أعناق المسؤولين بهذه الدولة ، بل وفي ذلك شق
للصف ونكوص عن الأهداف التي رسمها العلماء والمفكرون لإقامة هذه الدولة ، بل
وخيانة للدين ، وقد علمتنا الأحداث بأن الحرب القائمة حرب عقيدة ، ومهما تساهل
بعضهم فيها وتخاذل في أدائها فهم في نظر أعدائهم مسلمون ، فلابد الحذر من
التساهل في ذلك الهدف الإسلامي العظيم الذي قامت الدولة باسمه حتى لا يبوء
المسلمون بخزي الدنيا والآخرة .

سابعاً : الحذر كل الحذر يا أهل البوسنة والهرسك من أولئكم الذين لا يحملون
من الإسلام إلا اسمه ، ولا سيما المنضوين تحت مظلة الشيوعية البائدة وذوي
الأهداف المادية والذين يركبون الأمواج لتحقيق أهدافهم الرخيصة ولا يشعرون
بشعور العقيدة الحقة التي يجب أن ينطلق من أصولها كل عمل مهما كان وبخاصة
في مثل هذه الظروف الحرجة .

فالمسؤولون عن هذا الجهاد في بحر من الأمواج المعادية لهم ، وقد عرفوا

أمثال هذه الفئات (كعبديتش) وإخوانه ممن اشترى دنياه بدينه واستعان بقوى أجنبية
ضد إخوانه المسلمين ، ومازال سادراً في غيه ، فهؤلاء الأشخاص وأمثالهم يجب
الحذر كل الحذر منهم والضرب بيد من حديد على كل توجه انهزامي ومصلحي ؛ إذ
سيكون في ذلك عبرة لكل معتبِر .
والله أسأل أن يعلي كلمته وأن يعز جنده وينصر حزبه وأن يرينا في أعدائنا
جميعاً يوماًأسوداً .. إن الله على كل شي قدير وبالإجابة جدير ، والله المستعان .

المسلمون والعالم

خطر .. على أرض الكنانة !

بقلم : أحمد العويمر

شَرُفَتْ مصر بالإسلام حينما فتحها الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي
الله عنه) فدخل أهلها في دين الله أفواجاً ، وانتقل إليها الكثير من العرب المسلمين ،
فتعرب لسانها وصارت إحدى المراكز والمنطلقات التي دخل الإسلام عن طريقها
إلى إفريقيا كلها ، وبقيت مصر وفيّة لرسالتها الإسلامية على مر العصور .. ويوم
أصاب حكامها داء الأمم في التفكك والخلافات والصراعات فيما بينهم دخلها
العبيديون (الذين تسموا بالفاطميين) وخططوا لتحويلها إلى دولة رافضية ، فأقاموا
لذلك المذابح لكل من وقف في طريقهم ولا سيما من العلماء والمصلحين ، وحينما
تساءل المصريون عن مدى حقيقة انتساب هؤلاء العبيديين لآل البيت كما يزعمون
أخرج أحد حكامهم سيفه وقال : هذا نسبي ، ونثر النقود والدرر وقال : هذا حَسَبي ،
ثم أقاموا (الجامع الأزهر) لينقلوا مركز التعليم والتوجيه من مسجد عمرو بن
العاص ، وليكون جامعة دينية تنشر عقيدتهم وتغري بمنطلقاتهم ومبادئهم ، وبما أن الباطل
لا يدوم ؛ فبعد قرنين من الزمان سقطت دولة العبيديين على يد الفاتح والقائد المسلم
صلاح الدين الأيوبي الذي أعاد الله به ضياء السنة ، ورفع به أعلامها وبقي دين

الرفض مختبئاً ، واتخذ طريق التصوف أسلوباً وسبيلاً لمحاولة بقائه حتى أكد كثير
من الباحثين أن شيخاً صوفيّاً مشهوراً مثل « أحمد البدوي » لم يختر (طنطا) إلا
لتوسطها بين القاهرة والإسكندرية ؛ ليعمل على إعادة دولة العبيديين البائدة ، وفي
القرن العاشر جاء من إيران إلى مصر أحد دعاة الرفض وحاول بث سمومه بين
المصريين ؛ مما جعل العلامة « السيوطي » (رحمه الله) يقف فاضحاً دعوته في
كتابه المعروف (مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة) ، وفي عصور الانحطاط قامت
الطرق الصوفية ببث أفكارها القريبة من التشيع ولا سيما الطريقة الرفاعية
المعروفة بمصر . والصلة بين التصوف والتشيع وثيقة جدّاً أكدتها الدراسات العلمية
المقارنة ، مثل : (الصلة بين التصوف والتشيع/ د . كامل الشيبي) ، وله دراسة
أخرى هي : (الفكر الصوفي والنزعات الشيعية) ، وقد بين هذه الصلة بجلاء
وإيجاز الشيخ « عبدالرحمن عبد الخالق » في كتابه القيم (الفكر الصوفي في ضوء
الكتاب والسنة) الطبعة الثالثة وما بعدها .

التشابه بين التشيع والتصوف :

وتتجلى أبرز صور تشابه هذين التوجهين فيما يلي :

1- ادعاء كل من النزعتين بوجود علوم خاصة لدى رموز كلّ منهما لم تعط
لغيرهم ، وهذا طعن في إكمال الدين .

2- ما زعمه الشيعة في أئمتهم هو ما زعمته الصوفية في رجالها ممن
يسمونهم بالأولياء والأقطاب والأوتاد : من ادعاء اختيارهم من قبل الله (تعالى)
لقيادة الأمة بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- والنص على ذلك .

3- الادعاء بأن للدين ظاهراً للعوام وباطناً للخواص ! !

4- تقديسهم للأضرحة والقبور وشد الرحال إليها .

وأبرز الفِرَق الصوفية توافقاً وانسجاماً مع أهداف الشيعة فرقتان ، هما :

1- الرفاعية :

وهذه الطريقة إحدى الطرق المشهورة بمصر ، وأتباعها يعتقدون بإمامة

(الأئمة الاثني عشر) كالجعفرية ، ويجعلون شيخهم » أحمد الرفاعي « الإمام الثالث
عشر بعدهم ، وهم يؤمنون معاً بكتاب خرافي ، مملوء بالطلاسم والشعوذات يسمى
(الجفر) ، وهؤلاء الرفاعية ينتشر بينهم النصب والشعوذة والدجل أسلوباً لترويج
طريقتهم ، وقد كشف شيخ الإسلام ابن تيمية أباطيلهم تلك وأفحم زعماءهم في
محاورته معهم وفي رسالة معروفة ومشهورة بعنوان (الرد على الرفاعية البطائحية) .

2- الطريقة البكتاشية :

وهي طريقة تجمع بين التصوف والتشيع ، نشأت في تركيا وانتقلت إلى
مصر عام 800 هـ ، وبقيت بمصر حتى عام 1224م حين ألغيت الانكشارية
وأعطيت أملاكهم للطريقة القادرية ثم عادت لمصر على يد » علي الساعاتي «
وصارت مصر مقرها الرئيس عام 1949م ، وفي عام 1957 أخليت تكيتهم في
المقطم فانتقلوا إلى المعادي .

جهود الرافضة المنظمة لنشر التشيع بمصر :

وتتمثل جهودهم العملية لنشر مذهبهم في الوسائل التالية :

1- جماعة الأخوة الإسلامية : أسسها الباطني الهندي » محمد حسن الأعظمي« عام 1937م ، وجعل مركزها قبة الغوري بمصر ، ويبدو أنها فشلت في أداء ما
تهدف إليه فنقلت إلى كراتشي عام 1948م .

2- دار التقريب بين المذاهب الإسلامية : أسسها أحد الرافضة الإيرانيين
وهو المدعو » محمد تقي القمي « عام 1364هـ ، وقد انخدع بدعوته للتقارب مع
السنة نفر من علماء مصر ، وأصدرت الدار مجلة (رسالة الإسلام) لخدمة
أغراضها ، وبعد أربع سنوات من إنشائها ارتاب أحد أعضائها في أهداف هذه الدار (وهو
الشيخ » عبد اللطيف السبكي «) ونشر رأيه بمجلة الأزهر (ج 24/286) وتساءل
عن موارد هذه الدار وعلى حساب من إنفاقاتها السخية ، وفي النهاية أُغلقت الدار ،
وتبع » السبكي « في التبرؤ من هذه الدار الشيخ » محمد عرفة « والشيخ » طه
الساكت « .

3- ولم ييأس الرافضة ؛ فبعد توقف الدار أرسلوا مندوباً آخر هو » طالب

الرفاعي الحسيني « ، ويلقب نفسه بإمام الشيعة بمصر ، ولم يرفع المذكور شعارهم
السابق (التقريب) بعد الشك في أهدافهم ، وإنما رفع شعاراً يتقنون التسلل لقلوب
المصريين عبره وهو (محبة آل البيت) ، فأنشأ (دار آل البيت) لتقوم بنشر كتب
الرافضة وإحياء مواسمهم والتبشير بمبادئهم حتى أنهم أنشؤوا بالمعادي مركزاً
للدعوة بمنطلقاتهم بين أهل السنة ، وقد حُلت هذه الجمعية مؤخراً بعدما ظهر للعيان
دورهم في نشر الفكر الشيعي بين الناس .

4- دور الثورة الخمينية في الخداع بأهدافها :

لقد ظن الكثير من الناس بهذه الثورة عند قيامها ورفعها اسم الإسلام خيراً ،
والحقيقة أنها ثورة طائفية عنصرية ، ونحن لا نتهمها بما هي براء منه ؛ فبالإمكان
الرجوع إلى (دستورها المعتمد) لترى تلك النزعات بجلاء .

وموقفها من الفئات السنية في إيران أسوأ موقف تقفه دولة تدعي الإسلام ،
وبيان ذلك يطول ، وقد كُتِبَتْ في إيضاحه دراسات وكتب (معروفه) توضح العداء
المستحكم والظلم الواضح لأهل السنة من الحكومة القائمة في إيران ، بينما يُخص
اليهود والنصارى والمجوس بأحسن رعاية ! ! !

أثر الثورة الإيرانية في نشر مذهبها :

استطاعت هذه الثورة في كثير من الدول تجنيد مجموعات من الأفراد عن
طريق أتباعها بأسباب متعددة ، من أهمها :

1- الشعارات البراقة التي يرفعها النظام : كالعدالة الاجتماعية ، والدعوة إلى
الحريات ، ونصرة المستضعفين .

2- استغلال الجهل الذي يرزح تحته كثير من الشعوب الإسلامية لا سيما من
غير الناطقين بالعربية ، وخداع هذه الشعوب بنصرة الإسلام ومحبة آل البيت
والانتصار لهم .

3- الإمكانات المادية ، فقد سخرت الحكومة الإيرانية ميزانية ضخمة للدعوة
إلى مذهبها في الخارج ، ومنها : منح دراسية ، وتذاكر سفر للمؤيدين لها الذين
يرجى تحويلهم لمذهبها .

نتائج جهودهم الدعوية :

ولقد أثمرت هذه الجهود ثماراً ملموسة ونتائج تتمثل فيما يأتي :
أولاً : انخداع نفر من الكتاب والصحفيين وبعض المفكرين بدعاوى الرافضة
تلك ، فقاموا بكل جهد بالدعوة إلى التقارب معهم ومؤازرتهم وفتح المجال لهم للدعوة
لمذهبهم ، ومن هذه العينة كتابان صدرا في الموضوع نفسه لمؤلفين معروفين هما :
1- علي عبد الواحد وافي في كتابه : (بين الشيعة وأهل السنة) .
2- سالم البهنساوي في كتابه : (السنة المفترى عليها) .
وهما بحثان غير عميقين يقومان على العاطفة البحتة وتنقصهما الدراسة
العلمية المتأنية ، فضلاً عن فقدانهما للرجوع للمصادر والمراجع المعتمدة
عند القوم ، ولذلك : جاءا يفصحان عن العاطفة أكثر من العلم الحقيقي .
وقد تصدى لهما وكشف عوارهما وأبان أخطاءهما الشيخ العلامة » إحسان
إلهي ظهير « (رحمه الله) في كتابه القيم (بين الشيعة والسنة) ، ومثل ذلك الكتابين
قد يسهمان في تضليل العوام وأنصاف المثقفين ، ويكونان مع الأسف وسيلتين
للدعاية لدين الرافضة بينما موقفهم من أهل السنة وأصولهم معروف .
ثانياً : وجود جماعات مشبوهة تتبنى الاتجاه الرافضي بعد انخداعها بدعاوى
الثورة الإيرانية في كثير من الدول ولا سيما في دول الخليج العربي ، وبعض الدول
الإفريقية وعلى رأسها (مصر) حيث وجدت بعض الجماعات تتبنى التشيع تحت
إغراء التأثير الإعلامي والدعم المالي ، وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
وهو يحذر من فتنة المال : » إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال « ** .
وقد كشفت السنوات الأخيرة عدداً من تلك الجماعات الشيعية ، ومنها :
أ- العصبة الهاشمية : وزعيمها هو المسمى » الشيخ العربي « الذي يدعي
أنه يتصل بالرسول مباشرة ، ولها مبادئ يظهر فيها الغلو والرفض الشيعي .
ب- وهناك مايسمى ب : (تنظيم الطلائع الشيعي) .
ج- مايسمى بالتنظيم الشيعي الإيراني : وبغض النظر عما يؤخذ من واقع

التحقيقات التي تمت مع المنتسبين لهذه التجمعات وما نسب إليهم من السفر لإيران
ودعمهم المادي ، إلا أن هذه الجهود أثرت تأثيراً ملموساً لدى بعض العوام وأنصاف
المثقفين ، ففي حي المعادي بالقاهرة كان لهم تجمع يصدع ببدعهم ، وفي الزقازيق
لهم وجود معروف ، وكذلك في المنصورة (قرية ميت زنقر) وزعيمهم طبيب
معروف ، وقد أنشأت الجمعية الهاشمية في إحدى قرى أسوان » حسينية « لهم ،
وأعضاؤها يرفعون صور الخميني ويلبسون السواد في (عاشوراء) .

أبرز الشخصيات المتشيعة بمصر :

1- صالح الورداني : وهو تاجر وصحفي وكاتب ، من أنشط هذه الفئة ، وله
العديد من المؤلفات ، ويعتبر منظرّا للشيعة هناك ، ومع ذلك فهو مطلق الحركة ! ،
ويبدو أنه مستاء من علماء السنة الذين يفضحون الشيعة ومذهبهم وقد ألف كتباً في
الدعاية لمذهبه الجديد ، وهي ترديد لترهات وادعاءات الرافضة الذين يستغلون
جهل العامة وأنصاف المثقفين بحقيقة مذهبهم ، مع دس السم في الدسم ، وهي
منتشرة في كثير من المكتبات ومع باعة الأرصفة .

وجل العلماء هناك عنها غافلون ، ولم أر أي كشف لذلك الزحف الرافضي
سوى رسالة صغيرة ذات ردود مختصرة تحت عنوان (نماذج من سموم الغزو
الشيعي لمصر والأمصار الإسلامية) للأستاذ » رجائي محمد المصري « ، لكنه لم
يذكر أن صاحب تلك الدعاوى الشيعية التي نبه مشكوراً لخطرها إنما هو المدعو
» صالح الورداني « .

2- الزحف (الباطني) : وهذا النوع له دعاته بمصر يسرحون ويمرحون وقد
بدؤوا منذ عام 1980م ، حينما افتتح الرئيس السابق » السادات « جامع (الأنور)
الذي رممته طائفة البهرة الباطنية ، وقد بدؤوا في السنين المتأخرة يفدون لمصر
أفواجاً ، وأقام بعض تجارهم بمصر إقامة دائمة ، ولهم شركات ومصانع

واستثمارات في مجالات متعددة ، ولهم دار ملاصقة للمسجد يستقبلون فيها الضيوف
ويقيمون فيها الولائم والاحتفالات ، ولهم دار أخرى (بالمهندسين) ويقومون بترميم
مسجد (الأقمر) ، وقد قاموا ببناء مقصورتين ذهبيتين لكل من الضريح المنسوب
للحسين (رضي الله عنه) والضريح المنسوب للسيدة زينب (رضي الله عنها) ، وهم
يعملون بكل جهد لترميم الآثار العبيدية ، ولهم مدير مكتب دائم (لسلطان البهرة)
والقائم بأعمال هذه الطائفة . ولمريد المزيد يرجع لكتاب (الإسماعلية) للعلامة »
إحسان إلهي « (رحمه الله) وهو من أشمل المراجع التي عرضت هذا المذهب على
ضوء مراجعه ومصادره المعتمدة .

* أين أنتم يا علماء ؟ ؟

فطن للخطر الرافضي على مصر عدد من علماء الإسلام الأعلام في القديم
والحديث ، ومن أشهرهم : العلامة أحمد شاكر ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ،
ومحب الدين الخطيب (رحمهم الله) ولهم جهود في التحذير من الخطر الرافضي .
أما المفكرون المصريون المعاصرون فقد فطن كثير منهم لهذا الخطر الداهم ،
ومن أشهرهم : د . محمد المسير أستاذ العقيدة بالأزهر ، والدكتور عبد الجليل شلبي
أحد علماء الأزهر . وغيرهم .

خطة عمل لإيقاف الزحف الرافضي :

يجب ألا يتساهل علماء مصر ومفكروها تجاه مخطط الرافضة في الزحف
على أرض الكنانة ، ويجب وضع خطة علمية لإيقاف هذا المد وكشف مخططاته
وأهدافه ، وأرجو أن تكون تلك الجهود على النحو التالي أو قريب منه :

1- إشاعة العقيدة الصحيحة التي تنافي الاتجاهات المنحرفة من تصوف أو
باطنية أو اعتزال أو عقلانية منحرفة بطرح الدراسات العلمية المختصرة للرد على
تلك الاتجاهات المنحرفة .

2- إيضاح وجهة نظر أهل السنة من الترضي على آل البيت وبيان محبتهم

لهم ، وأن ذلك لايعني الغلو فيهم أو تقديسهم على ضوء ما أرشدنا إليه نبينا محمد -
صلى الله عليه وسلم- ، وإظهار ذلك في رسائل صغيرة ومحققة ونشرها بين العامة
والخاصة .
3- مناقشة رموز الرفض في مصر أمام العلماء والمفكرين المختصين وإسقاط
دعاويهم وبيان تهافت منطلقاتهم ؛ حتى تسقط أوراقهم أمام الرأي العام ويظهرون
على حقيقتهم : إما جهلة بدينهم ، أو أصحاب أهداف مشبوهة .
4- ملاحقة تلك الجمعيات والتجمعات الرافضية وعدم السماح لها ببناء معابد
وحسينيات ، ومتابعة أي مطبوعات تروج لفكرهم كما هو الحال في إيران ، إذ لا
يسمحون لأهل السنة بالدعوة ولا يعترفون بهم .
5- ترويج الكتب والرسائل التي تناقش المذهب الشيعي بموضوعية وبعيداً
عن التعصب والتشنج ، ومن ذلك كتب (صورتان متضادتان) للندوي ، ونقض
كتاب المراجعات ، وبروتكولات آيات قم ، و (رسالة إلى كل شيعي) للشيخ أبي بكر
الجزائري .
6- نشر بعض كتب الشيعة المعتدلين نوعاً ما أمثال (موسى الموسوي)
وبخاصة كتابيه (تصحيح التشيع) و (يا شيعة العالم استيقظوا) وطبعها بكل اللغات
الحية لأنها تساهم في خلخلة البناء العقدي الشيعي من أحد علمائهم ، ومع ما عليها
من ملاحظات إلا أنها من أهم الكتب التي تسقط التوجه الشيعي وتكشف عواره لكل
قارئ ولكل باحث عن الحقيقة .
7- إيضاح حقيقة التصوف وما فيه من انحراف عقدي وسلوكي وبخاصة
الرسائل الصغيرة ومنها : (فضائح الصوفية) لعبد الرحمن عبد الخالق ، و (إلى
التصوف ياعباد الله) لأبي بكر الجزائري ، و (كنت قبورياً) لعبد المنعم الجداوي ..
فإنها رسائل صغيرة الحجم جمة الفائدة وبأسلوب ميسر الفهم للقارئ العادي .
8- عند مناقشة الشيعة والمتصوفة يجب الانطلاق من منهج يحتكم إليه ، وإلا

كان الحوار دائراً في حلقة مفرغة ، وكتاب (الفكر الصوفي) للشيخ عبد الرحمن عبد
الخالق من أشمل الدراسات التي بينت حقيقة التصوف والتشيع والعلاقة بينهما
بدراسة علمية شاملة سهلة التناول .

9- التنبه لحقيقة مشاريع التقريب مع الرافضة لأنها لصالحهم وهم
المستفيدون منها ، كما حصل في مصر ، وقد تم توقفها بعد تنبه علماء مصر
لأهدافها المشبوهة ، لكنها عادت من جديد تحت مسميات أخرى كما أسلفت .. حفظ
الله مصر وأهلها من كل سوء .

مصادر مهمة :

1- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د . ناصر القفاري .

2- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .

3- مجلة المجتمع : العددان (58**2** ، 585) .

4- نماذج سموم الغزو الشيعي لمصر ، لرجائي محمد المصري .

* انظر دستور إيران الإسلامية ! (المادة 12 من الدستور) والمادة (15)
والمادة (115) ، ولمزيد البيان : انظر (النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية
الاثني عشرية) للأستاذ/محمد عبد الكريم عتوم .

** أخرجه الترمذي : كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في
المال ، وصححه الألباني ؛ صحيح سنن الترمذي ، ج2 ص273 .

المسلمون والعالم

أبعاد القضية الكشميرية
(عرض موجز)

بقلم سعيد البتاكوشي

المؤامرة الهندوسية ضد كشمير تؤازرها مؤامرة دولية كبرى تتمثل في تجاهل
المأساة وعدم الوقوف مع حقوق شعب كشمير في تقرير مصيره ، كما أن القوى
الدولية المؤثرة لا تعير أي اهتمام لكافة الانتهاكات الهندوسية لحقوق الإنسان المسلم
هناك ، وذلك لسبب واحد وهو أنهم مسلمون [1] .

لا يكاد يمر يوم واحد دون أن تنتهك الهند بكل شراسة حقوق المسلمين في
ذلك البلد الصامد ، دون أن تتعرض لأي ضغط دولي ، حتى ولو بوضعها على
قائمة الإرهاب ؛ فالنظام العالمي الجديد في صف كل من يقف ضد الإسلام ويشوه
صورته ، إلا أننا وجدنا أمريكا تحذر باكستان مراراً وتكراراً من مغبة وضعها على
قائمة الإرهاب لو استمرت في تأييد المجاهدين من أهل كشمير [2] .

أما روسيا : فهي تقف دائماً إلى جانب معارضة تدويل القضية ، وذلك على
إثر طرحها من قبل الرئيس الأمريكي « بل كلنتون » مما جعل الهند تقبل على
مضض بالتدويل الذي أصبح حقيقة واقعة يرددها القادة الأمريكيون والأوروبيون
وجماعات حقوق الإنسان و (54) دولة عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي وطرحها
للنقاش في مجلس الأمن .

موقف الإدارة الأمريكية :

تتسم حقيقة موقفها بالميوعة والأهواء الشخصية والنفعية (حسب المصالح) ،
وإن كان الموقف بالنسبة لكشمير يبدو للاستهلاك الإعلامي فقط ، إلا في موقف
واحدكان في يوليو 1992م حيث وافق الكونجرس الأمريكي على مشروع قرار
قدمه السناتور الجمهوري (دان بيرثون) يقضي باقتطاع (24) مليون دولار من
المساعدات الأمريكية للهند احتجاجاً على انتهاكات وممارسات القمع الهندي في
كشمير ، وقد تم إقرار هذا المشروع بموافقة (219) صوتاً ومعارضة (200)
صوت ، رغم أن هذا المشروع كان قد رفض من قبل عام 1991م .

التحرك الأمريكي الجديد يسير في اتجاه كشمير المحتلة التي لا تربطها صلة
بباكستان ، وهذا سيسهم في تأكيد الدور الأمريكي في المنطقة عن طريق اتجاه
كشميري موالٍ لها مثل جماعة « أمان الله خان » العلمانية [3] ، وعلى الجانب
الآخر هدد « كلينتون » بوضع باكستان على قائمة الإرهاب إذا ظلت على موقفها

بالنسبة لكشمير .

الموقف الباكستاني :

رفضت باكستان ضم الهند الإجباري لكشمير ؛ لأن ذلك عكس إرادة الشعب
الكشميري ، وأيضاً لوجود اتفاق سابق أوجد حاجزاً قانونيّاً أمام قدرة الحاكم المحلي
على تغيير الوضع الموجود من جانب واحد ، والنقطة الثالثة أن الحاكم نفسه قد
هرب من الولاية عند الانضمام ، وأن حكومة من الشعب تحت اسم أزاد قامت
بالسيطرة على جزء كبير من أراضي الولاية ، وتشهد ثاني برقية لنهرو إلى رئيس
وزراء باكستان تأكيده له فيها سحب جيوش بلاده عند استتباب الأمن في كشمير ،
وقال : « إننا سنترك تقرير مصير الإمارة إلى شعبها ، ولا نقطع هذا العهد معكم
فقط ، بل ونقطعه مع شعب كشمير أيضاً » .

باكستان وقرارات الأمم المتحدة :

على الرغم من زيف ادعاء الهند حقها في كشمير كما ثبت ذلك حتى بشهادة
المؤرخ البريطاني الشهير « ألاستر لامب » إلا أن باكستان وافقت على جميع هذه
القرارات االدولية الخاصة بكشمير موافقة حقيقية وفعلية ، بينما رفضت الهند
القرارات ، ولم يبق أمام باكستان إلا العودة إلى مجلس الأمن الدولي
ليبحث عن حل!، فتقدمت (إسلام أباد) بشكوى في 2 يناير 1957م ، وتقدم ممثلو أستراليا وكوبا
وبريطانيا والولايات المتحدة بمشروع قرار مشترك يطالب باستخدام قوات الأمم
المتحدة في المنطقة المتنازع عليها ، وكان القبول بالقرارات على أساس الإيضاحات
التالية :

أ- تسريح قوات كشمير الحرة وتجريدها من السلاح خلال مرحلة الاستفتاء ،
وذلك بعد استكمال العمليات المنصوص عليها في المادتين أولاً وثانياً من قرار 13
أغسطس 1948م .

ب- سحب الجيش الباكستاني في وقت واحد مع انسحاب الجيش الهندي .

ج- عدم المساس بسيادة ولاية كشمير ووحدتها .

د- عدم السماح بدخول عسكريين أو مدنيين تابعين لحكومة الإمارة الباكستانية

أو الحكومة الهندية .
هـ- يستمد المشرف على الاستفتاء سلطته من السلطات المعينة على جانب خط الهدنة .
و- لايسمح بإنشاء مراكز لحاميات هندية في تلك المناطق .

اندلاع حرب 1965م :

كانت النتيجة لفشل كافة المساعي الدولية في حل أزمة كشمير هو زيادة التوتر
بين الهند وباكستان ، وزاد من هذا التوتر الإعلان الذي أعلنه وزير داخلية الهند في
1 /1/ 1965م بأن كشمير جزء لا يتجزأ من الهند ، كما أعلن وزير الدفاع الهندي
أن القوات الهندية التي كانت تعبر خط وقف إطلاق النار في الماضي سوف تفعل
ذلك مرات أخرى إذا دعتها الضرورة إلى هذا الفعل ، وتوترت العلاقات أكثر عندما
أعلن رئيس وزراء الهند آنذاك « شاستري » تصميمه على اعتبار كشمير جزءاً لا
يتجزأ من الهند وعلى أثر ذلك اندلعت الحرب بين البلدين في 5/8 1965م ،
واستمرت الحرب 17 يوما .
ولما اشتدت الحرب شعر مجلس الأمن الدولي بخطورة الحالة ، فعقد جلسة
طارئة في 22 /9/ 1965م ، وأصدر قراره رقم 211 بوقف إطلاق النار بين
البلدين وسحب القوات إلى المواقع التي كانت تحتلها قبل 5 /8/ 1965م في فترة لا
تتعدى 25/2 ، ولكن المجلس وعد باتخاذ ما يمكن اتخاذه من إجراءات لتسوية
المشكلات السياسية التي ينطوي عليها النزاع الهندي الباكستاني دون أن يذكر
القضية الكشميرية صراحة ! !

اتفاقية طشقند :

عمل الاتحاد السوفيتيي السابق على إنهاء الأزمة بين الهند وباكستان وحلها
حلاً سلميّاً بعد اشتعال الحرب بين البلدين مباشرة ، فقد تسلم الرئيس الباكستاني
محمد أيوب خان دعوة من موسكو يوم 4 /9/ 1965م لعقد لقاء مع « لال بهادر
شاستري » رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي وقتها ، وتمخض الاجتماع عن توقيع
اتفاقية عرفت باتفاقية طشقند ، وقد نصت الاتفاقية على ما يلي :

علاقات حسن الجوار بين باكستان والهند وفقاً لميثاق الأمم المتحدة ،
وانسحاب جميع القوات المسلحة التابعة للبلدين إلى المواقع التي كانت ترابط فيها
قبل 5/8/1965م ، وأن تلتزم البلدان بشروط وقف إطلاق النار عند وقف القتال ،
كذلك عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من البلدين ، وعدم تشجيع أي دعاية
موجهة ضد البلد الآخر ، وأن يشجعا الدعاية الرامية إلى تنمية العلاقات الودية
بينهما ، وأن تعود البعثتان الدبلوماسيتان في كلا البلدين إلى عملهما الطبيعي ،
وعلى الحكومتين أن تلتزما بميثاق (فيينا) سنة 1961م بصدد العلاقات الدبلوماسية ، وإعادة العلاقات الاقتصادية والتجارية والمواصلات إلى ما كانت عليه ، وكذلك
إعادة التبادل الثقافي بينهما ، وإطلاق سراح أسرى الحرب وإعادتهم إلى بلادهم ،
وإيجاد الظروف التي تحول دون هجرة السكان ، كما اتفقا على أن يبحثا في إعادة
الأملاك والأموال التي استولى عليها كلّ من الطرفين نتيجة النزاع ، وكالعادة كانت
باكستان بقيادة محمد أيوب خان تعمل على تنفيذ الاتفاقية بعكس الهند .

لم تشهد قضية (جامو وكشمير) أحداثاً أو تطورات يمكن رصدها في الفترة
ما بين يناير 1966م حتى عام 1971م سوى قيام الحرب بين الهند وباكستان أواخر
عام 1971م بسبب الحركة الانفصالية في شرق باكستان التي أدت إلى قيام دولة
بنجلاديش فيما بعد .

ولم يستطع مجلس الأمن الدولي في 4/12/1971 م من التوصل إلى قرار
بشأن الحرب الهندية الباكستانية ، مما جعله يحيل المسألة إلى الجمعية العامة التي
دعت البلدين في 7/12/1971م إلى وقف الحرب بناءً على القرار الذي أصدرته
برقم (307) بوقف إطلاق النار فوراً وسحب القوات المسلحة للبلدين ، وتم وقف
إطلاق النار رسميّاً وفعليّاً يوم 17/12/1971م .

اتفاقية (سملا) 1972م :

في يوليو 1972م اجتمع الرئيس الباكستاني آنذاك « ذو الفقار علي بوتو »

برئيسة وزراء الهند « أنديرا غاندي » في مدينة (سملا) بالهند ، وتم التوصل إلى
اتفاقية بين البلدين عرفت باسم (اتفاقية سملا) تتكون من جزأين أساسين : الأول
ما يتعلق بنتائج الحرب التي نشبت بين البلدين عام 1971م ، والجزء الثاني قضية
كشمير التي لا تزال بدون حل حتى الآن .
هذا وقد أثارت (اتفاقية سملا) كثيراً من اللغط وسوء الفهم لدى الكثيرين من
المهتمين بقضية كشمير المسلمة ، إضافة إلى أن الهند ذهبت إلى تفسيرات بعيدة كل
البعد عن مضمون وروح الاتفاقية خاصة الجزء الثاني المتعلق بالقضية الكشميرية .

الجهاد الكشميري المعاصر والهند :

في أواخر عام 1991م نقلت الحكومة الهندية « علي الجيلاني » وبعض قادة
الجهاد الإسلامي إلى (نيودلهي) وأخبرتهم أنها ستعطي الشعب الكشميري حريته
شريطة أن تكون السيطرة المباشرة والقوانين العامة في يد الهندوس ، ورفض قادة
الجهاد ذلك .
والمعروف أن الجهاد الكشميري لم يكن متوقفاً قبل تاريخ يناير 1990م ،
ولكنه كان موجوداً ومستمرّاً بصور عديدة منذ عام 1947 م ، ولكنه لم يأخذ شكله
العملي المنظم إلا في ذلك التاريخ بعد أن تأكد للجميع أن الحل السلمي لن يجدي
شيئاً ، وأن المحادثات والاعتماد على الأمم المتحدة لن يعطي الكشميريين حريتهم .
ولقد أدرك شعب كشمير المسلم أن الجهاد المسلح في الداخل ضد الاحتلال
الهندي لا بد وأن يكون له جانب سياسي وإعلامي يعمل على إيصال القضية إلى
المحافل الإقليمية والدولية ، الشعبية منها والرسمية ، فتقرر إنشاء (حركة تحرير
كشمير العالمية « في يوم 6/7/ 1990م ، أي : بعد قيام الانتفاضة المسلحة بحوالي
نصف عام لملء ذلك الفراغ السياسي على المستوى الدولي .
وتتمثل الأهداف الرئيسة لحركة تحرير كشمير العالمية في :
1- السعي على المستوى الدولي لتمكين الشعب الكشميري من ممارسة حقه
في تقرير مصيره .

2- توفير الدعم والتأييد السياسي وتعاطف الرأي العام للنضال في كشمير .
3- حماية ومساندة حقوق الإنسان لشعب كشمير .
4- تزويد الضحايا الكشميريين بالمساعدات الإغاثية عن طريق منظمة الإغاثة الكشميرية .
5- تطوير الدراسات الأكاديمية حول قضية كشمير .
6- تشجيع أنشطة منظمة حقوق الإنسان عن طريق المعهد العالي للدراسات الكشميرية .
7- حشد التعاطف الدولي من خلال وسائل الإعلام والمنظمة العالمية للإعلام الكشميري .

هذا ، وقد نجحت حركة تحرير كشمير العالمية في تحقيق كثير من الإنجازات ، منها :
1- إدخال القضية الكشميرية في البرامج الانتخابية للحزبين الرئيسين في بريطانيا للمرة الأولى في تاريخ القضية .
2- رغبة الحكومة البريطانية في بدء الحوار حول قضية كشمير في قمه دول الكومنولث .
3- إدخال مشروع قرار (حرية كشمير) في الكونجرس الأمريكي ، وتقليص حجم المساعدات الأمريكية للهند بمقدار 24 مليون دولار .
4- توقيع أكثر من 150 عضواً برلمانيّاً على مشروع قرار يطالب البرلمان البريطاني بإصدار قرار عاجل بشأن قضية كشمير .
5- قرار البرلمان الأوروبي الذي أدان انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها الهند في كشمير المحتلة ، ومناشدتهم للأمم المتحدة العمل على إيجاد حل عاجل للمسألة الكشميرية .
6- مشاركة وفد كشمير للمرة الأولى في مؤتمر وزراء منظمة المؤتمر الإسلامي في إستانبول بتركيا ، وتبني المؤتمر قراراً بدعم القضية الكشميرية والتنديد بالجرائم الهندية .

هدف الهند من الحل السلمي :

يريد الهندوس كسب مزيد من الوقت لاحتواء الحركة الجهادية في كشمير

المحتلة ، وحصر القضية الكشميرية في الإطار الثنائي دون تصعيدها دوليّاً في
المنظمات المختلفة ، وإراحة الهند من قضية باتت تؤرق الاقتصاد الهندي ، ونقل
قواتها الجبلية إلى وادي كشمير ، ومن ثم : إيهام المجتمع الدولي أن الهند جادة في
حل القضية الكشميرية بدليل استعدادها للتباحث مع باكستان حول كشمير .

لكن هل ستختلف هذه المحادثات عن سابقتها ، أو أنها ستضيف شيئاً جديداً ؟

هذا ما لا نتوقعه !

ولهذا فقد أعلن الشعب الكشميري المسلم عن رفضه واستنكاره لهذه
المحادثات ، كما أعلن عن قراره لمواصلة الجهاد ضد المحتل الهندوسي حتى يتمكن من إنقاذ
كل شبر من أراضيه من براثن ذلك المستعمر بعون الله وتوفيقه [4] .

الهدف الذي تريد الهند أن تحققه من وراء دعوتها للمباحثات مع باكستان هو
الهدف نفسه الذي سبق وسَعَت لتحقيقه أعوام 1948م ، 1962م ، 1972م ، يناير
1994م ، وهو : كسب مزيد من الوقت للقضاء على الحركة الجهادية التي بدأت
قبل أربع سنوات ، والحيلولة دون تمرير أي قرار بإدانة الهند في الأمم المتحدة،
فقد جرت ست جولات من قبل لكنها لم تفض إلى أي نتيجة [5] .

فالهدف الرئيس الذي تريد الهند تحقيقه من المحادثات الثنائية مع باكستان ليس
حل قضية كشمير بل ، تضليل الرأي العالمي [6] .

الحلول المطروحة :

سحبت باكستان للمرة الثانية خلال أقل من ثلاثة أشهر قرارها الخاص بإدانة
الانتهاكات الهندية للشعب الكشميري ، بعد أن بدا للوفد الباكستاني في جينف عزوف
الدول الأعضاء في منظمة حقوق الإنسان عن تأييد الموقف الباكستاني ، وسحب
القرار أثار ردود أفعال واسعة في الأوساط الباكستانية والكشميرية والهندية على
السواء ، فبينما اعتبرت الحكومة الباكستانية سحب القرار انتصارا تكتيكيّاً ، إلا أن
الهند قالت : إن باكستان فشلت في كسب التأييد الدولي لإدانة الهند ، ولكن الشعب

الكشميري على العكس من هذا صرف اهتمامه نحو تصعيد العمل العسكري في
الداخل ، ولم يكترث بأبعاد القرار قبل وبعد سحبه .
ويرى الدبلوماسيون الهنود أن ثمه خيار لحل قضية كشمير تحت رعاية
مؤتمر العالم الإسلامي سيكون لصالح باكستان ، وأن أي جهد في هذا الاتجاه سيؤدي
إلى تدويل القضية ، وفي الوقت نفسه أوضحت الحكومة الباكستانية أن منظمة
مؤتمر العالم الإسلامي قررت بنفسها عدم طرح قضية كشمير على الجمعية العامة
للأمم المتحدة أثناء اجتماعها الأخير ، واعترفت باكستان أن فشلها في طرح القضية
على الجمعية العامة كان سببه عدم رغبة الدول الغربية الكبرى في اتخاذ خطوة
جريئة لصالح القضية ، ومن ناحية أخرى : أوضحت باكستان أن تأجيل عرض
قضية كشمير على الجمعية العامة قد جاء استجابة لطلب مجموعة الاتصال الخاصة
بمنظمة المؤتمر الإسلامي ، ويهدف هذا التأجيل إلى إحالة مناقشة القضية إلى
مؤتمر قمة دول منظمة المؤتمر الإسلامي المقرر عقده في الدار البيضاء في شهر
ديسمبر 1995م [7] ويقول د . أمين طاهر : « أعتقد أننا على المستوى العربي
والإسلامي لم نقم بالدور المطلوب سياسياً ودبلوماسيّاً ومعنويّاً واقتصاديّاً
على الأقل ، واعتقد أن مزيداً من الدعم العربي والإسلامي خاصة إذا حدث وخف التوتر في
الشرق الأوسط ممكن أن يستمر في كشمير » .
وأخيراً : فإن الجهاد الكشميري استطاع أن يرغم العالم الغربي بالالتفات إليه
ومعرفة معاناة شعبه مؤخراً ، كما حصل من مواقف كانت محل متابعة الإعلام
الغربي ، فهل يُنصف هذا الشعب ويعطى حقه في تقرير المصير كغيره من
الشعوب ؟ أم تبقى عقدة الغرب ضد كل اتجاه إسلامي ، وضد كل حق شعب مسلم في تقرير
مصيره ، كما هو حاصل في كثير من قضايا العالم الإسلامي ؟ .. هذا ما ستوضحه
الأيام ، وإن غداً لناظره قريب .

---

(1) كشمير تستنجد ، ص3 .
(2) كشمير المسلمة ، العدد 20 .
(3) كشمير المسلمة ، العدد 20 .

(4) كشمير المسلمة ، العدد 23 .
(5) كشمير المسلمة ، العدد 23 .
(6) كشمير المسلمة ، العدد 24 .
(7) نشرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

المسلمون والعالم

مسلمو مورو .. وخطر التمزق

بقلم : محمد أمين [*]

إن كثيراً من الإخوة في الدين لا يعرفون إلا معلومات سطحية عن قضية
إخوانهم المسلمين في منطقة مورو بجنوب الفلبين ، يقولون : إن مشكلة مسلمي
» مورو « الحقيقية هي التفرق والتمزق بسبب وجود جمعيات كثيرة وتنظيمات تختلف اتجاهاتها ، وبعضهم يتوقعون أن يحدث بين مسلمي مورو ما حدث بين إخواننا المجاهدين الأحباء في أفغانستان وما يجري اليوم في دولة أفغانستان الإسلامية الفتية .

وليس في نيتنا أن ندافع عن قضيتنا ؛ لأننا لا نعتبر الأقوال والتوقعات
المذكورة هجوماً يحتاج إلى الدفاع ، ولكن نعتبرها تعاطفا وتحسراً وحزناً وخوفاً من
الوقوع فيما وقع فيه غيرنا ؛ لذلك لابد من بيان الواقع وجلاء الحقائق وتوضيح
الأمر الواقع .

وأما فيما يتعلق بموضوع التفرق والتمزق : فيسعدنا أن نعلن على الإخوة في
الدين أن مسلمي مورو في جنوب الفلبين غير متفرقين وغير متمزقين ، بل هم
متحدون ومتضامنون ومتعاونون على مواجهة عدوهم الذي كان وما زال يحاول
القضاء عليهم ، ويكفينا برهاناً وحجة على وحدتهم وتضامنهم وتعاونهم أن مراكز
جبهة تحرير مورو الإسلامية ومعسكراتها المنتشرة في أنحاء البلاد تستقبل كل شهر
آلاف مؤلفة من المسلمين الذين يأتون إليها جماعات وفرادى للاشتراك في الأنشطة
الدعوية والجهادية والتربوية ، وأن الجماهير المسلمة في هذه البلاد يقفون اليوم إلى
جانب جبهة تحرير مورو الإسلامية ، بإمكاناتهم المادية والمعنوية والفكرية ، ولم
تمنعهم جمعياتهم وتنظيماتهم من الوقوف صفّاً واحداً مع مجاهدي جبهة تحرير مورو
الإسلامية ، علماً بأن الجمعيات والتنظيمات المتعددة ليست جهادية ، وليس لديها
برنامج جهادي في الساحة .

وإذا كان هناك من لا يقفون إلى جانب الجماهير المسلمة المجاهدة والصف
الإسلامي الجهادي فهؤلاء من الشواذ والنادرين القليلين جداً ، وليس لهم وزن في
مجتمع مورو المسلم ، وعدم وقوفهم مع الجماهير المسلمة المجاهدة لا يؤثر على
القضية والجهاد ، ولا يصح أن يوصف هذا بالتفرق ؛ لأن التخلف عن الجهاد أمر
واقع حتى في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، ولم يقل أحد أن أصحاب
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا متفرقين ومتمزقين بسبب تخلف أناس
قليلين عن الجهاد ، ونقصد بالتخلف عن الجهاد بالنسبة لمسلمي مرور : عدم
الانضمام إلى صف الجماهير المسلمة المجاهدة التي تعد العدة وتتدرب على فنون
القتال استعداداً لملاقاة العدو ، وقد قال (سبحانه وتعالى) في شأن المتخلفين عن
الجهاد : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ
اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ ﴾ [التوبة : 46] .

أما الجمعيات والتنظيمات المتعددة في منطقة مورو : فمعظمها تهتم بتدريس
الدين الإسلامي واللغة العربية وقراءة القرآن الكريم وتجويده وحفظه ، وبعضها يهتم
بشؤون الطلاب المسلمين : كاتحادات الطلبة المسلمين ، وبعضها يهتم بشؤون
الموظفين والمهنيين . وجبهة تحرير مورو الإسلامية وأعضاؤها يقفون مع الجماهير
المسلمة المجاهدة ويتعاطفون معها .

أما جبهات مورو الثورية وهي التعبير الصحيح لبعض الجبهات فهي أربع
منظمات فقط :

الأولى : منظمة تحرير بالجسا مورو (BMLO) وكان يرأسها » رشيد
لقمان« ، وبعد وفاته تولى زمامها قريبه » يوسف لقمان « ، وهذه الجبهة
لم تتمكن من إقامة تنظيم ثوري وجناح عسكري ، وظل الأمر حبرْا
على ورق إلى أن ذهبت أدراج الرياح ، والآن ليس لها وجود .

والثانية : جبهة تحرير مورو الوطنية الإصلاحية (MNLF
REFORMEST) وكان رئيسها » ديماس بونداتو « ، وقد
استسلم هو وأعوانه للعدو ، وأصبحوا الآن موظفين للحكومة ، وانحلت
الجبهة المذكورة ، والوحدات القتالية التابعة لها انضمت إلى جبهة تحرير

مورو الإسلامية بقيادة أمير المجاهدين الشيخ » سلامات هاشم « . والثالثة : جبهة تحرير مورو الوطنية بقيادة مسواري ، وهذه الجبهة لم تهتم بالتنظيم الشعبي الجهادي وتقوية جناحها العسكري ، وإنما اهتمت بالدعايات الخارجية لكسب التأييد السياسي واعتراف الدول الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي بها ، وقد حققت بعض ما أرادت ، كما اهتمت بالتفاوض مع حكومة الفلبين وانشغلت بذلك لمدة عشرين عامًا (من عام 1975م إلى الوقت الحاضر 1995م) . والرابعة : جبهة تحرير مورو الإسلامية : بقيادة أمير المجاهدين الشيخ » سلامات هاشم « ، وقد اهتمت بالدعوة إلى الله وتربية أعضائها طبقا للمنهج الإلهي ، وسلكت طريق السلف ، وتعتنق عقيدة أهل السنة والجماعة ، وتدعو إليها وتحارب البدع والخرافات، كما اهتمت بتقوية قاعدتها الشعبية وتنظيمها الجهادي والسياسي ، ووضعت برنامجًا شاملاْ أساسه التحول الإسلامي ، أي : العودة إلى الإسلام ، كما كان عليه النبي وأصحابه (رضي الله عنهم) ، والاكتفاء الذاتي ، ورفع المستوى التنظيمي ، وإنشاء قوات إسلامية مسلحة .. والبرنامج يسير بعون الله تعالى حسب الخطة .

أما التوقعات بأن يحدث في منطقة مورو ما حدث في أفغانستان الشقيقة وأن
تتقاتل الجبهات القتالية كما تقاتلت الجبهات هناك فهي توقعات غير منطقية ولايقبلها
الأمر الواقع ، والفرق بين جهاد الإخوة الأحباء في أفغانستان وجهاد مورو كبير ؛
ففي أفغانستان الشقيقة تكونت جبهات عديدة متساوية تقريبًا في التنظيم الشعبي
والقوة العسكرية والنفوذ السياسي والدعم الخارجي ، الأمر الذي مهد الطريق للفتنة ؛
فكل واحدة من الجبهات قادرة على مواجهة الأخرى بالقوة ، وأما في منطقة مورو :
فلا توجد فيها جبهة مسلحة قادرة بعون الله تعالى على القتال سوى جبهة تحرير
مورو الإسلامية والجماعة المقاتلة التي تدعى » أبو سيف « ، وهذه الجماعة لا
تتقاتل (بحمد الله تعالى) مع جبهة تحرير مورو الإسلامية .

لذلك نقول : إن التوقعات المذكورة لاتقوم على أساس المنطق السليم والأمر
الواقع ، علمًا بأن أسباب التقاتل وعوامله غير موجودة في الساحة (بحمد الله تعالى) .

وللبيان كلمة ..

ونحن إذ نقدر ماذكره أمين لجنة الإعلام الخارجي الشيخ » محمد أمين « ،
نتمنى أن يجنب الله إخواننا في الفلبين الفتنة التي وقع فيها غيرهم وألا يتحول

الجهاد إلى نزعات قومية أو مصالح شخصية ، ونأمل أن تتآزر الجهود ويتعاون
الإخوة هناك لما فيه مصلحة بلادهم وشعبهم وأمتهم ، وأن يتعاونوا على البر
والتقوى وأن يتجنبوا الإثم والعدوان ، وأن يحذروا مايخططه العدو من أحابيل لا
تخفى ، وقع فيها غيرهم .
والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

(*) بتصرف عن بيان جبهة تحرير مورو الإسلامية ، رقم 73 .

متابعات

الخصخصة رأي وتعقيب

طه عبد الغني

كنا قد نشرنا في العدد (89) موضوعْا عن (الخصخصة من المنظور
الإسلامي) وقد وصلنا تعقيب من القارئ الكريم / طه عبد الغني يعقب فيه على
المقال ، و خلاصة وجهة نظره كما يلي :
بعد ثناء على أفكار المقال الجيدة والجديدة أبدى الملحوظات الآتية :
1- خلص الكاتب إلى أنه لا يجوز تمليك فرد أو جماعة من الأفراد منتجْا
خدميًّا أو سلعيًّا إلا ضمن شروط تمنع الاستغلال وتحفظ الحقوق .
وتعليقْا على ذلك قال :
هناك فرق بين التملك الذي يكون منحة من الحاكم المسلم ، وغيره الذي يكون
نتيجة لكد الأفراد أو الجماعات واستثمارْا لأموالهم ، فلا يجوز للحاكم أن يأخذ
المشروعات الكبيرة أو ذات النفع العام التي حصل عليها الأفراد بكسبهم ، وأخًذٍها
يعد ظلمْا يندرج به الآخذ تحت وعيد النصوص التي تحرم الظلم ؛ لأن الأصل
جواز التملك وليس للحاكم إلا أن يراقب تصرفات تلك المؤسسات بما يعرف بنظام
الحسبة .
2- استدل الكاتب بما رواه البخاري مرسلا عن قيس عن أبي جعفر ، قال :
» ما بالمدينة أهل بيت هجرة .. « (الحديث) ، والحديث يدل على جواز المزارعة

وجواز الملكية الخاصة التي تؤثر على الناس سلباً وإيجاباً ، وليس على الحاكم إلا
أن يمنع تأثيراتها السلبية ، لا أن يتحكم في أصلها .
3- الانشغال بالجهاد كان سبب إعطاء اليهود أرض خيبر ، والقاعدة : أن
الإمام مخير في الأرض التي أخذت غنما بين قسمتها بين الفاتحين ، أو وقفها على
المجاهدين ، أو قسمة بعضها ووقف بعضها .
4- ليس هناك ما يمنع من تطوير نظام الحسبة ، بحيث يصبح القائمون عليه
متخصصين يراقبون المؤسسات وأنشطتها ومراحل الإنتاج ، ولا بأس عند ظهور ما
يعرف بـ (استغلال النفوذ » أو الانحرافات الشديدة التي لا تجدي معها العقوبات
الأقل أن يتدخل الحاكم في إدارة بعض تلك المؤسسات .
5 -الأصل عدم التسعير ولا يتدخل الحاكم بالتسعير إلا في حالة المغالاة في
السعر أو احتكار السلع .

تعقيب الكاتب :

وقد عرضت (البيان) النص الكامل لمتابعة الأستاذ طه عبد الغني للمقال على
الدكتور محمد بن عبد الله الشباني ، فأفاد بما يلي :
أشكر للأخ متابعته للموضوع ، وأحب أن أعلق عليه بما يلي :
أشار الأخ » طه « إلى بعض النقاط الواردة في المقال على النحو التالي :
النقطة الأولى : فيما يتعلق بالاستدلال بحديث أبيض بن حمال وحديث ابن
عباس : » المسلمون شركاء في ثلاثة « ، من أن هذه الأحاديث تضع قاعدة عامة
فيما يتعلق بتصرفات الدولة حول منح الامتياز في تملك منتج خدمي أو سلعي يحتاج
إليه عامة الناس .. فقد علق الأخ على ذلك بأن هناك فرقْا بين تمليك الحاكم الأفراد
أو الجماعات لأي منتج بحيث يتضرر من تصرفه عامة الناس .. ومن يجتهد
ويسعى ويستثمر جهده وطاقته ووقته وماله ، وإذا قام الحاكم بأخذ هذا المنتج الذي
تحصَّل عليه هذا الفرد ، فهذا العمل ظلم .
إن المقالة لم تتطرق إلى موضوع المصادرات والتأميم لأموال الناس ؛

فالموضوع متعلق بحماية المجتمع بأكمله من السماح لفئة باحتكار وتملك منتجات
خدمية أو سلع يحتاج إليها الناس وهي مملوكة للدولة ، ثم تقوم الدولة بمنح الامتياز
لمن يقوم بإنتاج هذه السلع أو استخراجها ، فالقارئ الكريم فهم من الموضوع أمرًا
آخر غير ما طرح للبحث (والذي يتعلق بتمليك المنافع العامة ، مثل الكهرباء ،
والماء ، وطرق السكك الحديدية ، واستغلال الموارد الطبيعية مثل الغاز ،
والبترول ، والمعادن .. وغير ذلك من السلع والخدمات التي يحتاج إليها الناس) ، ففي حالة
تمليك الأفراد أو الجماعات لهذه الموارد أو السماح بمنح الامتياز لتوفير هذه
الخدمات التي يحتاج إليها الناس ، فلابد من وضع قواعد وشروط تحفظ للناس
حقوقهم وتمنع عنهم الاستغلال كما أشرت إلى ذلك : سواء بوضع جهاز للرقابة
يتمثل في جهاز للحسبة ، والذي كان معمولاً به في الدولة الإسلامية الأولى ، أو
بوضع أنظمة رقابية متعددة لحماية مصالح الناس مع توفير المرونة والمبادأة
بقدرات الأفراد بالعمل والابتعاد عن بيروقراطية الدولة .

النقطة الثانية : التي أشار إليها الأخ الكريم القارئ هي : فهمه لحديث قيس
بن مسلم الذي رواه البخاري ، حيث فهم منه الأخ : أن دلالة الحديث مقتصرة على
جواز المزارعة وجواز الملكيات الخاصة ، ولم يدرك القصد من إيراد هذا الحديث
في هذه المقالة ؛ فإن الاستشهاد به تعدى ما فهمه إلى مدلول آخر ورد في آخر
الحديث ؛ حيث جاء ما نصه : » وعامل عمر الناس على : إن جاء عمر بالبذرمن
عنده فله الشطر ، وإن جاؤوا بالبذر فلهم كذا « ، وفي سنن البيهقي جاء نص
الحديث : » فأعطى البياض على إن كان البذر والبقر والحديد من عمر فلعمر
الثلثان ولهم الثلث ، وإن كان منهم فلهم الشطر ، وأعطى النخل والعنب على أن
لعمر الثلثين ولهم الثلث « .. لم يقصد بالاستشهاد بهذا الحديث جواز المزارعة أو
المساقاة ولا جواز التملك العام للدولة وحرية العمل وتملك الأفراد لناتج عملهم ،

وإنما تم الاستدلال بهذا الحديث بأحقية الدولة في استغلال الموارد الطبيعية
بالمشاركة برأس المال أو بالمورد الطبيعي وتفويض الاستغلال للأفراد ، فمناط
الاستشهاد والاستدلال بهذا الحديث أن على الدولة واجب استثمار واستغلال الموارد
المتاحة لها : وما أورده من قيام عثمان (رضي الله عنهما) بشراء بئر معونة ثم
إيقافها على المسلمين استشهاد لا صلة له بالموضوع ؛ وإنما هو دليل على تشجيع
الإسلام لمعتنقيه ببذل الإنفاق في سبيل الله وإيقاف الأصول الثابتة بقصد نفع جماعة
المسلمين .

النقطة الثالثة التي أثارها الأخ القارئ هي : حديث ابن عمر (رضي الله
عنهما) فيما يتعلق بفعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع يهود خيبر ، فقد علل
فعل الرسول بأنه (عليه الصلاة والسلام) : كان مشغولاً بالجهاد ، وهو تعليل غير
سليم لايسلم به ؛ للقارئ ؛ فالصحابة (رضوان الله عليهم) من الأنصار أصحاب
زروع ، فلم يتفرغوا جميعهم للجهاد ويتركوا مزارعهم ، بل إنهم كانوا يجاهدون
ويعملون في الأرض وفق توجيه الله في سورة المزمل في قوله (تعالى) : ﴿ عَلِمَ أَن
سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل : 20] . ففعله (عليه الصلاة والسلام) مع اليهود
تشريع يحدد جواز التعامل مع أهـل الذمة في الأنشطة الاقتصادية ، وعلى الحاكم
المسلم استغلال الموارد الطبيعية والأصول الثابتة لما فيه منفعة للمسلمين بالمشاركة
باسم الأمة مع أفرادها بما في ذلك أهل الذمة .

الورقة الأخيرة

وقفة محاسبة

بقلم :أحمد بن عبد الرحمن الصويان

قال الله (تعالى) : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ الَذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : 23] .

منزلة عظيمة من منازل المؤمنين : تسمو فيها النفس وتعلو على أهواء البشر ، يقف الإنسان بين يدي ربه خالياً يتدبر آيات الله (عز وجل) بسكينة ووقار ، فتلامس الآيات قلبه ، وترتجف جوانحه ، فيطأطئ رأسه ذلا ، ويعفر وجهه بالأرض عبودية وإخباتاً ، ويناجي ربه بتضرع يطلب منه العون والغفران .. فتنحدر الدموع من بين عينيه إنابة وخضوعاً .

يقرأ الآية من كتاب الله فتعمر قلبه ، وتزكيّ نفسه ، وتغير من طبيعته وسلوكه ، وتدفعه إلى المزيد من الطاعات والإقبال على الله . قال الله (تعالى) : ﴿ إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : 2] .

تحيط به الشهوات من كل مكان ، وتُجْلَبُ عليه الفتن بخيلها ورجلها .. ولكنها تتساقط وتتناثر تحت قدميه ، فينظر إليها باستعلاء وثبات ، ويمضي لا يلتفت إليها ، مرطباً لسانه بحمد الله والثناء عليه ، فمناجاته لربه تكسبه القوة والعزيمة ، وقلبه أبيض كالصفا ، لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض .

قال رسول الله : » سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. ذكر منهم : ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من الدمع « [1] وقال : » عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله « [2] .

سبحان الله ! ما أعلاها من منزلة .. وما أكرمها من صفة . حيث يتجلى عمق الإيمان وصفاؤه في القلب .

إن رقة القلب وسكينته وإخباته لربه وتذلله بين يديه تعظيماً وإجلالاً ، منزلة سامقة من منازل المؤمنين ، تتقاصر أمامها نفوس الضعفاء ، وهم العجزة .

بهذه القلوب الحية الصادقة العامرة بنور العلم والإيمان انطلق الصحابة (رضي الله عنهم) بتيجانهم الشمّاء ، يدكون الحصون ، مقبلين غير مدبرين ، يفتحون الآفاق ، ويرفعون راية التوحيد ، حتى تهاوت على أيديهم عروش كسرى وقيصر .

فما أحوج الأمة إلى العالم الرباني الذي إذا سمع الآية تتلى بين يديه وجل قلبه ، وفاضت عيناه بالدمع ، ووقف عند حدودها وعض عليها بالنواجذ ، ولم يتجاوزها
إلى غيرها لهوى في نفسه أو ضعف في ثباته ..

ما أحوج الأمة إلى الداعية الذي يجتهد في التعليم والتبليغ والتربية ، حتى إذا
جن عليه الليل وهدأت العيون ، نشط لمناجاة ربه والوقوف بين يديه رافعاً أكف
الضراعة والإخبات ، يسأل الله (تعالى) العون والتأييد بعين باكية ونشيج عذب .. !

ما أحوجنا إلى الدموع المخلصة التي تترجم صدق الإيمان وثباته واستعلاءه
على أهواء البشر .. فإلى الله (تعالى) نشكو عجزنا وضعفنا وقسوة قلوبنا .. !

قال رسول الله : » لو تعلمون ما أعلم : لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلاً « [3] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب من جلس ينتظر الصلاة ، ج2 ص143 ، ح رقم 660 ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ج2 ص715 ح رقم 1031 .

(2) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد ، باب ماجاء في فضل الحرس ج 4 ص 175 ح رقم 1639 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب قول النبي لوتعلمون ماأعلم ج11ص 319 ، ح رقم 6485.

تمت بعون الله ، والحمد لله